مجدى صبحى الهوارى

مقالة لوكيانوس "عن الإلهة السورية"

"ترجمة إلى العربية"

مقدمة

قد تبدو دراسة الماضى عديمة النفع إذا لم تضئ لنا ظلمات حياتنا المعاصرة، ويقدم النص الذى بين أيدينا أدلة على التأثير والتأثر الحضارى بين بلدان الشرق بعضها البعض وبينها وبين بلاد اليونان، وعلى هذا فإن سبر أغوار الحضارات القديمة يساعدنا على إنهاء أسطورة صراع الحضارات التى يروج لها البعض في عصرنا هذا.

وقد كان الكتاب فى العصر الرومانى يعرفون بأنهم يونانيين لأنهم يكتبون باللغة اليونانية(١) وبالطبع كان كتاب تلك الفترة رومانيين بحكم المواطنة، وعلى هذا يمكن القول بأنهم كانوا منفصمى الهوية حيث كان عليهم أن يعبروا عن أدبهم (اللغة التى يكتبون بها) وكذلك يعبرون عن وطنهم، وعليه فلم يكونوا صادقين، ونظرا لذلك نجد أنهم لم تكن لديهم رغبة في الحديث عن روما أو عن الرومان.(٢)

ورغم ذلك وجدنا أن كاتبا يونانيا يعد من أهم كتاب اليونانية فى عهد الإمبراطورية الرومانية، ألا وهو بلوتارخوس الذى جاء فى القرن الأول الميلادى، نجده يعترف بأن الرومان قادة وحكماء بدرجة

---

(١) كانت اللغة اليونانية فى العصر اليونانى الرومانى هى لغة العلماء والكتاب، وكان على كل من يريد أن يكون متعلما أن يتقن اللغة اليونانية وبوجه خاص اللهجة الأتيكية التى كتب بها الأوائل أمثال ثيوكيديديس وأفلاطون وغيرهما من كتاب القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

Tim Whitmarsh, Greek literature and the Roman Empire, Oxford 2001, p. 6.

(2) Tim Whitmarsh, op. cit., p. 2.

تتساوى مع نظرائهم اليونانيين وأنهما اشتركا معا في حمل مشعل الحضارة وذلك فى عمله "السير المتماثلة" الذى يقارن فيه بين بعض الساسة اليونانيين والرومان.[١]

وقبل أن نشرع فى ترجمة النص نقدم نبذة عن مؤلف العمل وموضوعه :

١ . مؤلف العمل (لوكيانوس Lucianus)

سورى من ساموساتا وكانت عاصمة لإقليم كوماجنى ومن المحتمل أنه ولد حولى عام ١٢٥م، وكان ذو أصل متواضع، ونعرف من كتاباته أن عائلته لأمه كانت تمتهن صناعة التماثيل، وأنه هو نفسه قد جرب هذه المهنة وغيرها من المهن ولكنه فى النهاية قد شغل نفسه بدراسة الأدب وطوع كل هذا من أجل النجاح فى مهمة الفيلسوف.

وحيث إن لوكيانوس سورى المولد فإن اللغة اليونانية لم تكن لغته الأم، ولكنه عمل على اتقانها وفى سبيل ذلك قام بزيارة مدارس فى أيونيا وغيرها من بلاد اليونان حيث تعرف على الفيلسوف الأفلاطونى نيجرينوس ومن خلاله اكتسب إعجابه بأفلاطون، وبعد اكتسابه العديد من الخبرات، مارس لوكيانوس مهنة الخطابة عند زيارته لأنطاكيا، وكانت الخطابة تتواءم مع ما بداخله من روح (شخصية) الفيلسوف الساخر، التى صقلها ترحاله الدائم، حيث زار سوريا وفينيقيا ومصر، ويخبرنا فى العمل الذى بين أيدينا (عن الإلهة السورية)، أنه أقام فترات فى هيرابوليس، وفى الجبيل وفى لبنان وفى صيدا.

وفى عام ١٥٠م. قام لوكيانوس بزيارة روما وبقى فى إيطاليا عامين رحل بعدهما إلى بلاد الغال التى استمر فيها عشر سنوات، وعاد ثانية إلى مسقط رأسه عام ١٦٤م وحينذاك قام بنقل والده وبقية أفراد عائلته إلى بلاد اليونان، حيث استقر لوكيانوس فى أثينا وكرس حياته لدراسة الفلسفة، وقرب

(١) م . ب تشارلزورث الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزى عبده جرجس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٩٩)، ص ص ١٢٥.١٢٦.

نهاية القرن التقى بالإمبراطور الرومانى سيفيروس *Severus* الذى عينه كاتبا في بلاط حاكم الإسكندرية الرومانى ولم يرد فى المصادر تاريخا لوفاته.(١)

كان لوكيانوس ثانى أعظم كتاب اليونانية فى ذلك العصر، بعد بلوتارخوس الذى كان يتميز بلغته المصقولة والتى كانت تميل إلى الكلاسيكية وإن كانت تمثل ذلك الخط الوسط الذى يربط العصر الهيللينستى بالعصر الكلاسيكى، أما لوكيانوس فقد اصطنع لغة يقلد بها اللغة الكلاسيكية وإن كان ذلك التقليد قد تم ببراعة؛ وجدير بالذكر أن بلوتارخوس كان يأخذ المعتقدات الدينية بجدية كبيرة وإنسانية عالية، أما لوكيانوس فكان يتعامل معها بسخرية واستهزاء، حتى ما يخبرنا به بلوتارخوس عن حياته هو نفسه فهو حقيقى، أما ما يقدمه لوكيانوس عن حياته الشخصية فهى صورة مصطنعة ومن الصعب التعامل معها على أنها سيرة ذاتية، وعلى سبيل المثال نجده يتحدث عن رحلة إلى القمر ويسند فيها الأفعال إلى المتكلم المفرد وهى رواية لا يمكن تصديقها.(٢)

على أية حال فقد كانت قدرة لوكيانوس على رواية القصة تضارع مثيلتها عند أبو لليوس الكاتب اللاتينى المعاصر له والذى ولد فى مادوراس عام ١٢٣م. وقد مثل لوكيانوس نوعا من النقد والتعليق ظهر فى فترة حكم أسرة أنطونيوس، تمثل فى سلسلة من المقالات البارعة التى تسخر من الذين يمارسون الدجل باسم الدين ومن مدعيى الفلسفة ومن الرحالة الذين يروون قصصا مبالغ فيها.(٣) وقد استخدم لوكيانوس فى ذلك استعارات متنوعة من مجموعة معروفة من النصوص الكلاسيكية، وعلى الرغم من هذا فإن لوكيانوس كانت له إبداعاته الأصلية، حيث إنه ابتكر الحوار القصير وتفوق فيه ووجهه إلى القارئ الذى يجد مشقة أو يفتقد القدرة على قراءة النص الطويل. وفى هذا الشكل المبتكر صاغ لوكيانوس حواراته عن الموت وعن الآلهة وعن الحوريات وعن العاهرات الفاتنات وعن الكوميديا. وأصبح هذا الشكل الأدبى يشبه الإبيجرامات وكذلك الرسائل، حيث يجمع بين الحكمة والأقوال المأثورة والنقد الساخر.(٤)

(1) Strong and Garstang, The Syrian Goddess, London. (1913), pp. 29-31.

(2) John Boardman & others, The Oxford History of the Roman world, Oxford and New York, (1991), p. 309.

(3) Michael Grant, History of Rome, London. (1978), p. 255.

(4) John Boardman & others, The Oxford History .... op. cit., pp. 310-311.

فها هو لوكيانوس يقدم فى (البغايا) حوارا بين بغى صغير وأمها الطموحة يقصد من وراءه إثارة المشاعر الاجتماعية تجاه أرملة أصبح دخلها الوحيد يتمثل في توظيف ابنتها في هذه المهنة إنه تأثير الربطوريقا الذى جعله يرى الفضيلة فى الفقر والهوان فى الثراء، وكأنه يدعو إلى الاشتراكية قبل زمانها، وعلى الرغم من سيادة هذه النزعة فإن هناك بعض الأعمال من بين الكتب الثمانين التى وصلتنا تتميز بأنها أكثر جدية وأكثر ارتباطاً بواقع الحياة اليومية فى ذلك الزمان.(١)

٢ . عن الإلهة السورية

تمثل مقالة لوكيانوس "عن الإلهة السورية" نموذجا للأدب الهيلينستى حيث استطاع كاتبها أن يعبر فيها عن حالة خاصة أو تجربة شخصية بلغة تنتمى إلى الثقافة الكلاسيكية التى كانت قاصرة في عصره على النخبة، وهنا يبرز مدى براعة الكاتب وإبداعه فى توظيف الوعى الذاتى والتقليد المحلى فى موضوع من صنعته ليكون حلقة وصل بين القيم الجديدة والقيم القديمة.(٢)

وكانت اللغة اليونانية فى العصر الكلاسيكى نموذجا للهوية الإثنية أي التى تعتمد على العرق، أما فى العصر اليونانى الرومانى فقد أصبحت الهوية اليونانية شيئا يمكن اكتسابه، حيث تجاوزت الحدود السياسية والجغرافية وأصبحت وعاءً للوحدة الثقافية.(٣)

وفى الوقت الذى كان فيه لوكيانوس يعتبر ثانى كاتب يونانى في عصره بعد بلوتارخوس فإنه لم يأت من قلب العالم اليونانى وإنما جاء من الشرق المتهلين؛(٤) ليقدم لنا في هذا العمل وصفا للمعابد التى رآها فى الأماكن التى قام بزيارتها فى موطنه سوريا وفى لبنان مشيرا إلى بعض الطقوس التى تجرى فيها ويصب معظم إهتمامه على معبد أتارجاتيس فى مدينة هيرابوليس السورية، حيث يرسم فى هذا العمل صورة فريدة للمعتقدات والممارسات التى كان الكهنة الجاليون وغيرهم من المريدين يقومون بأدائها هناك.(٥)

(1) Idem.

(2) Tim Whitmarsh, op. cit., p. 299.

(3) Idem.

(4) John Boardman & others, The Oxford History .... op. cit., p. 309.

(5) Strong and Garstang, op. cit., p. 31.

كتب لوكيانوس مقالته (عن الإلهة السورية) باللهجة الأيونية وذلك تقليدا لهيرودوت الذى استخدمها بدوره فى كتابة عمله الضخم عن التاريخ، وقيام لوكيانوس بكتابة هذه المقالة التى تعد من بواكير أعماله باللهجة الأيونية ثم كتابة بقية أعماله باللهجة الأتيكية المحضة، يظهر الكثير من قدراته اللغوية والأسلوبية التى كان قادرا بها على الانتقال من اللهجة الأيونية إلى اللهجة الأتيكية. وعلى الرغم من أن هذه المقالة تخلو من التهكم الذى ساد بقية أعمال لوكيانوس إلا أنه يشير فى أكثر من فقرة إلى أنه غير قادر على تفسير المعجزات التى شاهدها في هيرابوليس وإلى أن وجود هذه المعجزات يرجع إلى خدع الكهنة.(١)

أما عن شخصية معبودة هيرابوليس نفسها، فإنها تنتمى إلى نموذج الإلهة الأم الكبرى إلهة الإخصاب أم الآلهة التى عرفت بين مختلف الشعوب بوصفها الإلهة الأم التى تقوم على رعاية الأرض ومن عليها من إنسان وحيوان ونبات وتعلم البشر عبادة الآلهة.(٢)

وتعد أتارجاتيس نموذجاً محليا للإلهة الأم حيث إنه بعد تضاؤل قوة عبادة الإلهة عشتار السامية والإلهة الفينيقية أستارتى انتقلت قوى الخصب والنماء إلى الإلهة الآرامية آثار . هاتى (*Atar-Ate*)، التى أخذت بدورها في العصر الهيلينستى مكان الشريك للإله الأكبر في البانيثون الآرامى، ذلك الإله الأسمى والأوحد، الذى كان يصور جالسا على عرش تدعمه الثيران بينما كانت الإلهة تصور تجلس بجانبه على عرش تدعمه الأسود، طبقا لما تصوره إحدى عملات هيرابوليس التى تعود إلى القرن الرابع الميلادى والتى كتب عليها اسم الإلهة على أنه . (*Atar-Ate*).(٣)

ويمكن تقسيم النص حسب الموضوعات التى تعالجها فقراته إلى جزئيين رئيسين، يتناول القسم الأول معابد سوريا وفينيقيا والآلهة التى ارتبطت بها مثل الإله أدونيس، ويستفيض فى هذا الجزء فى سرد الروايات المختلفة المتعلقة بنشأة معبد أتارجاتيس في هيرابوليس والأسباب التى دفعت كل من

(1) Strong and Garstang, op. cit., pp. 32-33.

(2) James E. O, The Cult of the Mother Goddess, London. (l959), p. 186.

(٣) مجدى صبحى الهوارى، عبادة أتارجاتيس فى روما، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عين شمس (١٩٩٨)، ص ٦٥.

قيل أنه قام ببناء المعبد إلى القيام بهذا العمل المجيد، وعن منزلة هذا المعبد بالنسبة إلى بقية معابد الإقليم (الفقرات ٢٨.١).

وفى القسم الثانى يتناول مقدسات المعبد والطقوس المرتبطة بها مثل أعمدة الفالوس وقدس أقداس المعبد الذى يوجد به تمثالى العبادة (الإلهة وقرينها) ويتحدث فيه أيضا عن تماثيل الآلهة والأبطال التى وجدت داخل المعبد وخارجه وعن الكهنة ومراتبهم المختلفة، وعن البحيرة الملحقة بالمعبد والاحتفالات التى كانت تقام عندها والطقوس التى كانت تجرى فى المعبد على أيدى الكهنة والمريدين من العباد الذين يأمون المعبد من كل حدب وصوب (٦٠.٢٩).

وقد قام الباحث بترجمة النص معتمدا على طبعة اللويب:

Lucianus, De Dea Syria, The Loeb Classical Library, vol. IV, London. (1925).

ترجمة النص
(عن الإلهة السورية)

١ . توجد مدينة فى سوريا لا تبعد كثيرا عن نهر الفرات وتدعى {المدينة} المقدسة،[١] وهى مقدسة لدى {الإلهة} هيرا الآشورية، ويبدو لى أن هذا الاسم لم يكن مقرونًا بالمدينة عند إنشائها

(١) تقع مدينة هيرابوليس، في الشمال الغربى لمدينة حلب، وتبعد حوالى ٢٣ كم عن نهر الفرات وتبعد عن ساموساتا مسقط رأس لوكيانوس بحوالى ١٧٧ كم ويشير اسمها السورى مانبوج إلى الربيع، أما اسم هيرابوليس فهو الاسم اليونانى الذى أطلقه عليها الحاكم المقدونى (اليونانى) سيليوقوس نيكاتور (٣٠٦-٢٨١ق.م)، وكان للمدينة أربعة

ولكن كان هناك {اسم} آخر قديم لها، وبعد إقامة شعائر عظيمة القدر بين ظهرانيهم تم منح اسم {الإلهة} لهذا {الموقع}.

وأننى أنبرى الآن للحديث عما كان سائدا ومتبعا لديهم فى هذه المدينة، كما أتحدث عن القوانين التى كانوا يتبعونها في أدائهم للشعائر، وعن الأعياد والاحتفالات التى كانوا يقيمونها، وعن القرابين والأضاحى التى يقدمونها. ثم أتحدث {من بعد ذلك} بإسهاب عن ما كان قائماً في المعبد {طبقًا لما} يقصونه، وعن الكيفية التى أقيم بها المعبد. أكتب {هذا} وأنا آشورى،[١] وإننى أروى {لكم} ما عاينته ورأيته رأى العين، وما عرفته وما قدر لى أن أطلع عليه من الكهنة، ثم أقص عليكم ما كان يدور فى زمن أقدم من أيامى.

٢ . كان المصريون ـ كما يقال ـ أول البشر[٢] الذين عرفناهم فى مجال معرفة الأرباب وإنشاء المعابد والأضرحة المقدسة، وفى تعيين مواقيت الاحتفالات والمهرجانات. وكانوا كذلك أول من عرفوا

أبواب يوجد على جانبى كل منها برجان، وقد دمرت آثارها جميعا ولم يبق منها سوى بعض أطلال وبوجه خاص البحيرة المقدسة التى يتحدث عنها لوكيانوس في الفقرة ٤٥ من عمله هذا.

Strong and Garstang , The Syrian goddess, London. (1913), p.41, № 1;
Pocock, Description of the East, Vol. II, London. (1945), p. 166.

(١) (γραφω δε ᾽Ασσυριος εων) يشير لوكيانوس بهذه العبارة إلى أنه ليس على دراية بالبلد التى يكتب عنها فقط وإنما يرجع أصله إليها، وجدير بالذكر أن الخلط بين الصفة سورى والصفة آشورى يرجع إلى هيرودوتوس الذى أشار إلى أن كلمة سورى عند اليونانيين يقابلها كلمة آشورى عند الأجانب .

Cf. Herodotus, VII, 63, lines 5-7.

Ουτοι δε υπο μεν Ελληνων εκαλεοντο Συριοι, υπο δε των βαρβαρων Ασσυριοι εκληθησαν.

وها هو لوكيانوس قبل وصف نفسه بأنه أشورى نجد أنه في الوقت الذى يسمى فيه إلهة هذه المدينة (أتارجاتيس) هيرا، فإنه يصفها بالآشورية تمييزاً لها عن هيرا الأصلية، الإلهة اليونانية شقيقة كبير الآلهة زيوس وزوجته، ومن المرجح أن هذه الكلمة تشير إلى شمال سوريا. Strong and Garstang, op. cit., p. 41, № 2.

(٢) كان المصريون يعتقدون أنهم أعرق أجناس البشر، طبقا لما ذكره هيرودوتوس (٤٩٥-٤٢٥ق.م) الذى رأى كذلك أنهم حازوا السبق في عبادة الآلهة وكذلك فى علم الفلك. cf. Herodotus, II, 2ff) ؛ وقد ورد هذا المعنى عند ديودوروس الصقلى (٢٠.٩٠ق.م) حيث أشار إلى أن الأساطير تنسب أصل الآلهة إلى المصريين وأن مصر كانت البلد الأكثر عراقة في علم الفلك (cf. Diod. Sic., I 9, 6)

الأسماء المقدسة، ونسجوا الأساطير التى تدور حول المقدسات. وبعد انصرام وقت ليس بالطويل تناهى إلى مسامع الآشوريين ما قاله المصريون عن الأرباب فأقاموا المعابد وشيدوا المزارات المقدسة، ووضعوا داخلها التماثيل وصور الأرباب.

٣ . وقديمًا كانت المعابد عند المصريين خالية من التماثيل، ولم تكن غالبية المعابد في سوريا تبعد كثيراً فى معاصرتها الزمنيه عن {المعابد} عند المصريين. ولقد شاهدت بنفسى أقدم {هذه المعابد}، وهو معبد الإله هيراكليس[١] فى مدينة صور، ولكن هذا المعبد لم يكن ينسب إلى

وقد هاجم بلوتارخوس (ولد قبل ٥٠م. ومات بعد ١٢٠م.) (Plutarch., De Malig., 13-14) هيرودوتوس بسبب حبه للأجانب (المصريين والفينيقيين) وقوله إن اليونانيين تعلموا عبادة الآلهة والأحتفاء بها من المصريين حيث تعلموا عبادة ديميتر من بنات دناؤوس، كما أن عبادة هيراكليس ترجع فى الأصل إلى سوريا، ويرى **برنال** *Bernal* أن هجوم بلوتارخوس جاء لمجرد الهجوم وليس عن قناعة بأسبابه، حيث إن بلوتارخوس كان يُكِن للديانة المصرية تقديرا عميقا وذلك كما يتضح من رسالته "عن إيزيس وأوزيريس". انظر:

مارتن برنال، أثينا السوداء، تحرير ومراجعة وتقديم: أحمد عثمان؛ ترجمة: لطفى عبد الوهاب يحيى وآخرين، المشروع القومى للترجمة (١٦) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (١٩٩٧)، ص ص ٢٢٢.٢٢٣.

(١) يذكر لوكيانوس الإله ميلكارت إله صور الذى بُنِى معبده عام ٢٣٠٠ ق.م، وقد طابقه اليونانيون بمعبودهم هيراكليس، وكان ميلكارت يتطابق مع الإله بعل إله تارسوس، ويرجح الدارسون أن المعتقدات اليونانية المتعلقة بهيراكليس تعود إلى أصول فينيقية ويرى هيرودوتوس أن أمفتريون وألكمينى، أبوى هيراكليس كانا ينحدران من مصر، كما يشير إلى أن هيراكليس إله صور أكثر قِدما من هيراكليس ابن أمفيتريون.

cf. Herod., II, 43-45.

أما بالنسبة إلى هيراكليس البطل الإله اليونانى، فقد قدمه هوميروس لنا بوصفه إبنا لكبير الآلهة زيوس من ألكمينى، حيث إن زيوس تنكر في هيئة زوجها أمفتريون وعاشرها في ليلة أطال هو أمدها بمقدار ثلاث ليالى، وبعد مرور تسعة أشهر على هذه الليلة أنجبت ألكمينى وليدها الذى كان من الطبيعى أن يتعرض لحقد وكراهية هيرا أخت زيوس وزوجته الشرعية. Cf . Hom., Iliad , 15 , 253 ; 19 , 97ff.

وجدير بالذكر أن عبادة هيراكليس كانت تتضمن مظهرا شرقيا شديد الوضوح، ألا وهو طقس (الزواج المقدس)، حيث كان البطل يرتبط بامرأة ما، وكانت كاهنة معبده فى ثيسبياى مجبرة على أن تظل عذراء طوال عمرها حيث إنها تعتبر عروس البطل الإله، وعلى هذا يجب أن تكرس نفسها لخدمة معبده دون أن يمسسها بشر. انظر: أحمد عثمان، هيرقل فوق جبل أويتا، تأليف: سينيكا؛ ترجمة وتقديم: أحمد عثمان، مراجعة: عبد اللطيف أحمد على، من المسرح العالمى (١٣٨)، الكويت (١٩٨١)، ص٦٥ وص ص ٧٣.٧٤.

هيراكليس الذى أشاد به اليونانيون، ولكننى أقول إنه هو(المعبد) الأكثر قدمًا، وإنه (معبد) بطل صور.

٤ . ويوجد فى فينيقيا معبد كبير آخر لدى أهل صيدا، الذين يؤكدون أنه (معبد) الربة عشتروت؛[١] وفيما يبدو لى فإن عشتروت هى سيلينى (ربة القمر).[٢] وطبقا لما أخبرنى به أحد الكهنة فإن هذا هو معبد يوروبى[٣] أخت كادموس؛ وكانت (يوروبى) هذه ابنة الملك أجينور. وحيث إن الفينيقيين قد قدسوها بإقامة {هذا} المعبد لها بعد اختفائها {بغتتة}، فقد رووا عنها أسطورة مقدسة مؤداها أن (الإله) زيوس قد استهواه جمالها . حيث إنها كانت جميلة ـ فاختطفها بعد أن حول نفسه إلى ثور ورحل حاملاً إياها إلى جزيرة كريت، ولقد دأبت على سماع هذه القصص من نفر آخر من الفينيقيين، كما قام أهل صيدا بسك عملة تحمل (صورة) يوروبى وهى تمتطى ظهر الثور الذى هو زيوس. غير أنهم لم يقروا بأن المعبد يخص يوروبى.

عن أسطورة هيراكليس؛ انظر: عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، أساطير البشر، الجزء الأول ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة (١٩٩٧)، ص ص ٣٨٩ وما بعدها.

(١) كانت أستارتى (عشتروت) هى النظير الفينيقى للإلهة السورية أتارجاتيس، وكانت إلهة سماوية ولهذا قد تماثلت كلتاهما مع الإلهة أفروديتى السماوية ومثلت الإلهات الثلاث بالإضافة إلى الإلهات كيبيلى وإنانا وإيزيس حتحور الإلهة الأم (الأم الكبرى) التى ارتبطت بمحبوب يشاركها عملية الإخصاب والتكاثر. انظر: مجدى صبحى الهوارى، العناصر الشرقية فى عبادة أفروديتى: دراسة من خلال المصادر اليونانية واللاتينية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عين شمس (٢٠٠٥)، ص ص ١٠٠ وما بعدها.

(٢) سيلينى: إلهة القمر عند اليونانيين وشقيقة هيليوس إله الشمس وإيوس إله الفجر، وقد استبعد اليونانيون آلهة الظواهر الطبيعية مثل سيلينى وهيليوس من مملكة أوليمبسوس اعتقاداً منهم بأن هذه الآلهة تدور فى أفلاكها دون أن تتدخل فى أمور البشر. انظر: عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية: الآلهة الكبرى، الجزء الثالث، الأنجلو (٢٠٠٥)، ص٢٧.

(٣) يوروبى: تروى الأساطير أنها ابنة الملك الفينيقى أجينور وشقيقة كادموس مؤسس طيبة أغرم بها زيوس، فحول نفسه إلى ثور أبيض جميل أغراها بالركوب على ظهره وحملها بعيدا عبر البحر إلى كريت ، وهناك مارس الحب معها وأنجبت له ثلاثة أبناء هم مينوس ورادامانثوس وساربيدون.
R. Graves, The Greek Myths, Vol. I, Penguin Books, England (1955) Reprinted (1971), pp. 194-195.

٥ . وكان لدى الفينيقيين معبد آخر[١] وهو معبد ليس آشوريًا بل مصرى، ولقد وفد إلى فينيقيا من مدينة هيليوبوليس المصرية (مدينة الشمس).[٢] ولكننى على أية حال لم أشاهده، مع أنه كان معبداً كبيرًا وعريقًا.

٦ . وفى بيبلوس[٣] رأيت أيضًا معبدًا كبيرًا للربة أفروديتى من بيبلوس، وكانت تقام فيه طقوس سرية (ماجنة) من أجل أدونيس،[١] ولقد رأيت {هذه} الطقوس الماجنة. إنهم يقولون

(١) كان هذا المزار مكرسا لإله الشمس وذلك في مدينة هيليوبوليس/ بعلبك حيث كان يعبد الإله حدد كإله للشمس إلى جانب الإله أبوللون السورى بوصفه جوبيتر إله مدينة هيليوبوليس ويقول ماكروبيوس أن تمثال عبادته جاء من مصر من هيليوبوليس عن طريق سوريا. (Cf. Macrobius, Saturnalia, 1. 23. 10).

(٢) كانت مدينة هيليوبوليس المصرية تقع على تل كبير وبها معبد هيليوس إله الشمس، كما كان الإله أبيس يعبد عندهم أيضا؛ وقد خرب قمبيز معابدها ومسلاتها، وكانت معابدها تتميز بوجود تماثيل ضخمة لأبى الهول على جانبى المدخل، وقد رأى استرابون فى المدينة بيوتا كبيرة كانت مخصصة للكهنة والفلاسفة والعلماء، ومن بينها المدارس التى مكث فيها أفلاطون ومعاصره يودوكسوس مدة ثلاث عشرة سنة يلتمسون عطف الكهنة المصريين حتى يفيضوا عليهم بعلمهم الوفير فى مجال الأجرام السماوية. حيث يرجع الفضل إلى علماء هيليوبوليس المصريين فى تعليم اليونانيين عدد أيام السنة الواحدة، حيث كان اليونانيون يجهلون أنها تبلغ ٣٦٥ يوما؛ وفى الجهة الغربية من النيل المواجهة للمدينة كان يوجد مرصد فلكى يرقبون منه بعض حركات الأجرام السماوية. انظر: وهيب كامل، استرابون في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٣)، ص ص ٩٢.٨٨ .
وقد احتلت أساطير مدينة الشمس (هيليوبوليس) مكانا بارزا في نصوص الأهرامات، كما أن اخناتون قد أخذ عقيدته من مذاهب هذه المدينة التى أثنى اليونانيون على حكمة كهنتها وعلومهم. انظر: جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: سيد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (٢٠٠١)، ص ٣٤٨.

(٣) مدينة بيبلوس بلبنان (تعرف حاليا باسم جبيل) وتقع على ربوة عالية تبعد عن البحر بمسافة قليلة (cf. Strabo, XVI, ii , 12.). وقد صور معبد أفروديتى إلهة بيبلوس على عملات المدينة، وتصعد إلى المعبد بدرج وعند نهاية الدرج ترى الساحة الخارجية للمعبد وهي محاطة برواق ذى أعمدة، ولم يكن هذا الجزء من المعبد مسقوفا، ويرتفع المخروط المقدس، رمز العبادة، من داخله أما المذبح فقد وجد في الحرم الداخلى الذى كان مسقوفا وذو مدخل مزود بالأعمدة. Strong and Garstang, op. cit., p. 45, № 10.

أن {ذلك} الذى حدث لأدونيس بواسطة الخنزير البرى قد حدث فى أرضهم. وكل عام وفى ذكرى الكارثة، يضربون صدورهم وينتحبون ويؤدون الطقوس الماجنة (الإباحية). وبينهم وعلي أرضهم، تقام مراسم حداد بالغة. وعندما ينتهون من ضرب صدورهم ومن النواح فإنهم يقدمون القرابين أولاً لأدونيس المتوفى وبهذا وبعد أن يقدموا (قرابينهم) للمتوفى، يعيدونه للهواء. ويحلقون رؤوسهم مثلما كان يفعل المصريون لموت أبيس.[٢] وجميع النساء اللائى يرفضن أن يحلقن شعرهن يتعرضن للعقاب التالى:

---

(١) من المرجح أن طقوس أدونيس في جبيل لم تكن تختلف عن طقوس عبادته في الإسكندرية حيث إن طقوس هذا الإله كانت طقوسا شائعة ولذلك يقدمها لوكيانوس دون أن يستفيض فيها ونعلم من وصف ثيوكريتوس أن أدونيس كان يعود إلى الحياة لمدة يوم واحد يتم أثناءه وضع الإله على أريكة بجوار الإلهة فى المعبد، وتقدم إليهما بواكير المحصول من الفاكهة والزهور وكذلك الخبز، وفى صباح اليوم التالى ترتدى النساء ملابس الحداد ويكشفن صدورهن ويتركن شعرهن مسترسلا ويقمن بحمل تمثال الإله ويقومون بإلقائه فى البحر للأمواج، وكان جميع المتعبدون يأملون فى عودة الإله من جديد. انظر: مجدى صبحى الهوارى، العناصر الشرقية فى عبادة أفروديتى، مرجع سابق، ص ص ١٦١.١٦٢؛ عن عبادة أودنيس (الأسطورة والطقس) بوجه عام انظر:

Frazer .J, Adonis, Attis; Osiris: Studies in the History of Oriental Religion Vol. I, London 1927, pp. 3-56.

(٢) كان الإله أبيس من الآلهة الصغرى، فقد كان عبارة عن عجل مقدس احتفظ به المصريون فى معبد الإله بتاح دون أن يكون هناك علاقة فى بداية الأمر بين الإلهين، حيث إن أبيس لم يعتبر روحا للإله بتاح إلا فى عصر الدولة الحديثة، وكان الجمع بين حيوان مقدس وإله فى معبد واحد أمراً عقائديا فى البداية، وبعد أن تعود الناس على ذلك بمرور الزمان تم الجمع بينهما على أساس دينى ولذلك لم يتمتع أبيس في العصور القديمة بعبادة ذات طقوس محددة يقوم عليها كهنة معينون، أما في عصر الدولة الحديثة فأصبح لأبيس عددا لا يحصى من الأتباع. وعند هيرودوتوس ينشأ أبيس من شعاع الشمس، وهو أسود، وعلى جبهته غرة بيضاء مربعة، وعلى ظهره صورة نسر. انظر: أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ص٣١ وص٣٧١ وص ٤٢٨؛ وقارن:

Herodotus, II, 154; III, 27; 28..

وعند موت الثور أبيس كان جميع المصريين يبكون وينتحبون ويفرضون على أنفسهم الصوم مدة سبعين يوما، مدة الحداد، وهى المدة التى كانت تستغرقها عملية تحنيط العجل ودفنه وسط طقوس جنائزية خاصة، وعند اختيارهم ثورا جديدا كانوا يراعون العلامات التى يجب أن يتميز بها جسده (اللون الأسود والغرة البيضاء)؛ انظر: وهيب كامل، مرجع سابق، ص٩٣ ؛ فقرة (٣١).

كان عليهن أن يقمن يعرض ثمرتهن (أنوثتنهن) للبيع لمدة يوم واحد، ولم يكن يسمح بالدخول إلى ساحة العرض سوى للغرباء فقط، ويتم تقديم الأجر قربانًا لأفروديتى.[١]

وعند بلوتارخوس كان كهنة أبيس يقومون عند وفاته بأداء أفعال تشبه أفعال مريدى ديونيسوس حيث كانوا ينقلون جثمانه في نعش وهم يلفون أنفسهم بجلود الريم ويحملون صولجانات باخوس (ديونيسوس) ويصيحون صيحات عالية ويتمايلون؛ ويذكر بلوتارخوس أن كثيراً من اليونانيين يصورون ديونيسوس على هيئة عجل أبيس.

cf. Plutarch. , De Iside et Osiride, 35.

ومن المرجح أن مراسم الحداد فى عبادة أدونيس قد استمدت من مصر، من طقس الحداد علي آبيس، حيث ارتبطت عبادة أفروديتي محبوبة أدونيس بمقر من مراكز عبادة آبيس فى مصر، فقد ذكر استرابون وجود معبد لإلهة الحب اليونانية أفروديتى فى منفيس وأن البعض يقول إنه معبد الإلهة سيلينى إلهة القمر؛ طبقاً لما ورد فى الكتاب السابع عشر من الجغرافيا، فقرة (٣٢). وفى تعليقه على ما ورد عند استرابون في هذا الشأن يذكر وهيب كامل أن هيرودتوس يقول في الكتاب الثانى فقرة ١١٢، أنه رأى معبد أفروديتى (المغتربة) واستنتج أنه كان معبد هيلينى، ويرجح وهيب كامل أن المعبد كان يخص عشتروت، التى تتماثل مع أفروديتى في كل من سوريا وفينيقيا. وتوكد فقرة (٣٢) من مقالة لوكيانوس هذه الرأى الذى ذهب إليه وهيب كامل، حيث إن الفقرة تؤكد هذا التماثل الذى وجد بين الإلهات أتارجاتيس (الإلهة السورية) وإيزيس وأفروديتى فى الوقت الذى حملت فيه أتارجاتيس ملامح من سيلينى إلهة القمر اليونانية؛ انظر: وهيب كامل، المرجع السابق، ص٩٤ ملحوظة (١)؛ وقارن:

Strabo., XVII, 32; Herodotus, II, 112; Lucian., De Dea Syria, 32.

(١) تأتى الإشارة فى نهاية هذه الفقرة إلى ارتباط عادة البغاء بعبادة الإلهة أفروديتى فى إطار علاقتها هنا بالإله أدونيس بوصفهما معاً معبودى مدينة بيبلوس، وتشير أغلب الروايات الكلاسيكية المرتبطة بعبادة أفروديتى وأدونيس فى كل من فينيقيا وقبرص إلى وجود ارتباط وثيق بين طقس البغاء وأدونيس، حيث إن ميلاد أدونيس جاء عند البعض ناتجا من نوع من البغاء وهو (سفاح القربى)، كما أن طقوس عبادة الإله هنا في هذه الفقرة كانت سببا فى وجود عادة البغاء هذه. وكانت عادة البغاء تمارس أيضا فى عبادة الإلهة البابلية ميليتا *Millitta* ولمرة واحدة فقط مثلما هو الحال في عبادة أفروديتى وأدونيس في كل من فينيقيا وقبرص. حيث انتقلت من هناك إلى عبادة الإلهة أفروديتى فى بلاد اليونان .

ويرى بعض الدارسين أن البغاء المقدس يعود إلى السومريين حيث إنهم كانوا يداومون على ممارسة طقس الزواج المقدس كل عام، حيث كان الملك يقترن بالكاهنة الكبرى التى تمثل الإلهة إنانا إلهة الحب والخصب والنماء، وهما بذلك (الملك والكاهنة) يستدعون كل عام مراسم ارتباط الإلهة إنانا بالإله دموزى. وقد امتلكت الإلهة أفروديتى، النظير اليونانى للإلهة أستارتى، والتى تماثلت إلى حد كبير مع الإلهة إنانا، أكثر من عشرة ألاف بغى في معبدها بقلعة مدينة كورنتة، وذلك نتيجة خضوع عبادتها إلى تأثيرات شرقية. عن طقس البغاء في عبادة أفروديتى بقبرص

٧ . مع ذلك يقول بعض مواطنى بيبلوس إن أوزيريس[١] المصرى دفن عندهم وأن الحداد والطقوس الماجنة لم تكن لأدونيس وإنما كانت جميعها تؤدى تكريما للإله أوزيريس. وسوف أخبرك من أين بدت هذه (الأقوال) جديرة بالتصديق.

إن رأساً بشريةً تأتى من مصر كل عام إلى بيبلوس (جبيل) فى رحلة بحرية تستغرق سبعة أيام، تدفعها الرياح في رحلة تحفها عناية الآلهة، ولم تتوجه إلى أى مكان وإنما وصلت إلى بيبلوس فقط. وكل هذا مجتمعاً يعد أعجوبة. ويحدث هذا كل عام، وقد حدث هذا فى بيبلوس بينما أنا كنت موجودًا وقد شاهدت الرأس البيبلية.[٢]

وصقلية وكورنثة، انظر: مجدى صبحى الهوارى، العناصر الشرقية فى عبادة أفروديتى، مرجع سابق، ص١٣٤.١٤٨؛ و ص ١٣٤.١٤٨.

(١) من المرجح حدوث خلط بين طقوس أدونيس وأوزيريس فى مصر وفى فينيقيا حيث كانت هذه الطقوس تتعلق بالحداد على الإله الشاب الذى ارتبط بصورة وثيقة بإلهة الخصب والنماء كما أنها كانت تحتفى بالإله الميت الذى يبعث إلى الحياة من جديد، ومن المحتمل أن تكون رواية لوكيانوس هذه تشيربصورة غير مباشرة إلى قصة الإله المصرى أوزيريس وما حل به من كوارث على يد أخيه تيفون (ست)، حيث قام تيفون بحبس أخيه فى صندوق وألقى الصندوق فى النيل ووصل الصندوق إلى بيبلوس، حيث أحضرته إيزيس الزوجة الوفية من هناك، ولكن تيفون تعرف على جسد أخيه بعد ما تركت إيزيس الصندوق فى مكان قصى، وقام تيفون بتقطيع جسد أخيه إلى أشلاء وبعثر هذه الأشلاء فى أنحاء مختلفة من الأرض ولكن إيزيس تمكنت من جمع أشلاء زوجها وإعادته إلى الحياة من جديد.

Cf. Plutarch, De Iside et Osiride, 12-20.

ويعد إرتباط طقوس عبادة الإله الشاب (محبوب الإلهة) بعملية الحصاد فى فصلى الربيع والصيف، إشارة واضحة إلى بعث الإله [أودنيس . أنيس . أوزيريس] محبوب أم الآلهة [أفروديتى (أستارتى) . كيبيلى . إيزيس]، بعد معاناته الشديدة وموته المأساوى. عن التماثل الواضح بين أدونيس وأوزيريس، أنظر:

Frazer .J, Adonis, ..., op. cit., pp. 354 ff.

(٢) يرى هارمون أن هناك تورية في استخدام كلمة Byblos (Βυβλος) لتصف الرأس المشار إليها، حيث تشير هذه الكلمة إلى أن الرأس كانت مصنوعة من ورق البردى Papyrus (ο, η Παπυρος) حيث إن كلمة (η Βυβλος) تعنى اللحاء أو القشرة التى تقطع إلى شرائح يصنع منها ورق البردى، وتستخدم الكلمة كذلك كى تشير إلى نبات البردى المصرى، وقد تكون الرأس ملفوفة بأوراق البردى مثلما كان يحدث بالنسبة إلى المومياوات، ومن

٨ . وتوجد أعجوبة أخرى في إقليم بيبلوس. إذ ينبع نهر من لبنان من الجبل ويصب في البحر؛ وأُطلق على هذا النهر اسم أدونيس.[١] وكان النهر يُخَضَّب بالدماء كل عام وبعد أن يفقد لونه {الطبيعى} ويصب مياهه في البحر فإن جزءاً كبيراً من {مياه} البحر يتغير لونه إلى اللون الأحمر، معلنًا الحداد لأهل بيبلوس (جبيل). حيث إنهم يقولون إن أدونيس فى {مثل} هذه الأيام جُرِح قرب {جبال} لبنان، وغيَّر دمه القادم إلى الماء {لون} النهر، وأُعطِى اسمه للنهر. وهذا ما يقوله الكثيرون. لكن رجل من بيبلوس (جبيل) من الواضح أنه يقول الحقيقة قد ذكر لى سببًا آخر للحادثة (للواقعة).

فقد قال الآتى؛ "أيها الغريب إنه أدونيس إنه النهر الذى ينبع من لبنان؛ حقًا إنها لبنان ذات التربة الصفراء. لذلك فإن الرياح العاصفة التى تهب في تلك الأيام تلقى التربة فى النهر، التربة الحمراء تماماً، التى تجعل لونه أحمر، ولذلك فإن الدم ليس هو سبب هذه الحادثة، كما يقولون، وإنما التربة هى السبب". هذا ما قاله لى {الرجل} البيبلى؛ وبافتراض أنه قال ذلك بصدق، يبدو لى أنه من العجيب هبوب الرياح في الوقت المناسب.

٩ . وصعدت أيضًا من بيبلوس إلى لبنان، لمدة يوم واحد، حيث إننى سمعت أنه يوجد هناك معبد قديم لأفروديتى،[٢] إنه المعبد الذى أقامه كينيراس[١] وقد رأيت المعبد وكان قديمًا (عريقًا).

المرجح أن وصول البردى المصرى إلى بيبلوس يشير إلى أن البحر قد جرف مياه النيل وغرينه من مصبها إلى شواطئ فينيقيا فامتلأت موانىء فينيقيا بطمى النيل.

وقد كانت بيبلوس معروفة للمصريين منذ عصر الدولة القديمة (الأسرة الثالثة ٢٦٨٦.٢١٨١ق.م) وقد تركت إلهة جبيل (بيبلوس) فى نفوس المصريين أثراً عميقا حيث كانت تتطابق مع معبودتهم حتحور، منذ الدولة الوسطى على الأقل (٢١٨٠ . ١٧٨٥ ق.م) .

Harmon, Loeb Classical Library, vol. IV, London 1925, (De Dea Syria), p. 345, № (3).

(١) يعرف النهر حاليا باسم نهر إبراهيم وهو ينبع من مغارة قرب أفكا ويسير فى مجرى شديد التحدر وكثيف الأشجار ويصب فى البحر جنوب بيبلوس بحوالى ٦ كم، ويتميز الوادى المحيط به بتربته حمراء اللون التى تهب الرياح فتنقلها إلى مياه النهر لتصبغها باللون الأحمر.

Strong and Garstang, op. cit., pp. 47-8; № 17, 18.

(٢) من المرجح أنها إشارة إلى معبد أفكا الذى أقامه كينيراس للإلهة أفروديتى وذلك بالقرب من منبع نهر إبراهيم (أدونيس)، Strong and Garstang, op. cit., p. 48; № 20. وتقع أفكا بين جبيل وبعلبك عند منبع نهر إبراهيم، حيث مات أدونيس؛ وقد وجد في موقعها العديد من التماثيل الحجرية التى ورد وصف أحدها عند

١٠ . هذه هى المعابد القديمة والعريقوة في سوريا. ويبدو لى أنه لا يوجد بينها معبد آخر أكبر حجمًا وأكثر قدسية، ولا بقعة أخرى أكثر تمجيداً للآلهة، من المعبد الذى يوجد فى الدينة المقدسة. وتوجد به مصنوعات نفيسة (بديعة)، ونذور وقرابين عريقة، وأعاجيب كثيرة وتماثيل تليق بالآلهة. وكأن الآلهة تتجسد فيهم؛ حيث إن التماثيل الموجودة هناك تظهر لهم (للمتعبدين) جميلة وتتحرك وتعلن لهم النبوءة. وغالبًا يرتفع الصياح في المعبد عند إغلاق الحرم، لدرجة أن الكثيرين كانوا يسمعونه. حقاً فإن هذا {المعبد} كان الأول فى الثراء بين تلك {المعابد} التى عرفتها؛ حيث كانت تأتيه كنوز كثيرة من بلاد العرب ومن الفينيقيين ومن البابليين وأيضًا من كابادوكيا وأيضاً يجلب الكيليكيون الكثير {من الكنوز}، ويجلب الآشوريون الكثير.[٢] ولقد رأيت الكثير الذى وُضِع سراً في المعبد، أثواب كثيرة، وأشياء أخرى تم اختيارها من الفضة أو من الذهب. وكانوا يقيمون احتفالات ويعقدون اجتماعات لا يحضرها أحد سواهم من البشر.

ماكروبيوس؛ والتمثال يصور إلهة لبنان وهى فى حالة حداد لفقدها أدونيس، ويذكرنا بحالة الحداد التى أقامتها عشتار لفقدها محبوبها الشاب تموز. وعن مقتل أدونيس وحزن أفروديتى لموته وعلاقته بعشتار إنانا والإله تموز - دموزى؛ انظر: مجدى صبحى الهوارى، العناصر الشرقية فى عبادة أفروديتى، مرجع سابق، ص ٤٢.٤٧.

(١) كينيراس: ملك أسطورى لقبرص سورى الأصل (cf. Apollod., III, 14; Strabo., XVI, 155) وهو عند هوميروس من قام بمنح أجاممنون الدرع الرائعة المزخرفة والمرصعة بالجواهر والتى ارتداها استعدادا لقتال الطرواديين (Hom., IL., 19-28) وأصبح كينيراس بعدها نموذجاً للثراء (Pind., Nem., 8, 18-19). ويرتبط كينيراس ارتباطاً وثيقاً بعبادة أفروديتى فى بافوس، حيث إن كهنتها هناك ينحدرون منه، ومعبدها أيضا (Tacit., Hist., II, 3). ولم تشفع عبادة كينيراس لأفروديتى له ألا يقع فى مكائد إلهة الحب، حيث قدر له أن يمارس سفاح القربى مع ابنته ميرها التى أنجبت أدونيس إثر هذه العلاقة (Cf. Ovid., Met., X.; Hyg., Fab., 58) ، وإن كان أبوللودوروس فى الفقرة المشار إليها عاليه يجعل أدونيس ابنا شرعيا لكينيراس من زوجة تدعى ميثارمى Μηθαρμη؛ فيما يخص الأصل السورى وعلاقة كينيراس بعبادة أفروديتى فى بافوس، انظر: مجدى صبحى الهوارى، العناصر الشرقية فى عبادة أفروديتى، مرجع سابق، ص ٦٢.٧٩.

(٢) إن هذا التقدير الواسع الذى لقيه معبد هيرابوليس يكشف عن النظر إلى الإلهة السورية (أتارجاتيس) بوصفها تمثل مظهرا من مظاهر الأم الكبرى، التى عبدت بأسماء مختلفة فى العديد من البلدان التى ذكرها لوكيانوس، ففي بلاد العرب عبدت عشتر، وفى فينيقيا عبدت عشتروت (أستارتى) وفى بابل وأشور عبدت عشتار، ومن الواضح وجود أصل مشترك يجمع بين هذه المعبودات أو على الأقل تماثل شديد بينهم.

Strong and Garstang, op. cit., p. 49; №. 21.

١١ . وعندما سألت عن عدد السنين التى مرت علي المعبد، وعن الإلهة التى يؤمن بها هؤلاء، قيلت روايات عديدة، البعض منها مقدس والبعض الآخر شائع، والبعض الثالث أسطورى تمامًا، وأخرى {روايات} أجنبية، والبعض منها تمت روايته بواسطة اليونانيين، وإننى سوف أرويها جميعاً، لكننى لا أؤمن بأى منها.

١٢ . يزعم الكثيرون أن ديوكاليون الاسكيثى[١] هو الذى أقام المعبد؛ وأن ديوكاليون هذا هو الذى حدث في عهده الطوفان. ولقد سمعت قصة ديوكاليون بين اليونانيين وذلك ما يقوله اليونانيون عنه. والقصة تسير هكذا.

إن هذا الخلق، هؤلاء البشر الموجودين الآن، ليسوا الخلق الأول، لكن ذلك الخلق البشرى (الأول) هلك بأكمله، أما هؤلاء الذين ينسبون إلي الخلق الثانى، فهم الخلق الذى جاء من ديوكاليون وأصبح كثير العدد من جديد. وفيما يتعلق بأولئك البشر (الخلق الأول)، فيروى الناس عنهم ما يلى: إنهم كانوا أناسًا متمردين تماماً (عصاه) ويرتكبون أفعالاً شريرة، حيث إنهم يتجاهلون (يستخفون بـ) قدسية القسم وحسن الضيافة، ويتصرفون بقسوة مع الخاشعين، ولقد كان نتيجة هذه الآثام أن حاق بهم هلاك تام. حيث أخرجت الأرض على الفور ماءًا متدفقًا، ونزل الماء من السماء مدرارا وفاضت الأنهار فيضاناً جارفاً؛ وارتفعت مياه البحار عاليًا. وأصبح كل

(١) ديوكاليون ابن برومثيوس نجا من الطوفان هو وزوجته بيرها ابنة عمه ابيميثيوس نظرا لورعه وتقواه حيث أرشده والده برومثيوس إلى أن يبنى سفينة كبيرة تحمله هو وزوجته سواء وحدهما أو معهما أبنائهما طبقا لاختلاف الروايات، وكان زيوس قد عزم على إرسال الطوفان إلى الأرض بسبب الإثم الذى ارتكبه أبناء لوكاؤون فى حقه عندما قتلوا أخيهم وقدموه طعاما للإله (زيوس) معتقدين أنهم يستطيعون خداعه عندما تنكر ونزل عليهم ضيفا. عن ديوكاليون والطوفان؛ انظر:

Graves, Greek Myths, vo1. I, Penguin Books, USA. (1970), pp. 138-143.

عن الأصول الشرقية لقصة الطوفان الواردة فى المصادر اليونانية واللاتينية؛ انظر: مجدى صبحى الهوارى، "صورة الطوفان فى المصادر الكلاسيكية ومدى ارتباطها بمصادر الشرق الأدنى القديمة"، أوراق كلاسيكية العدد السادس، أعمال مؤتمر الدراسات اليونانية واللاتينية والدراسات البينية، كلية الأداب . جامعة القاهرة (٢٠٠٦)، ص ص ٧٥١.٧٨٦.

شئٍ ماء، وهُلِك البشر جميعًا؛ وترك ديوكاليون وحده من بين البشر من أجل الخلق الثاني، وذلك بسبب حكمته وتقواه. وكانت وسيلة نجاته كالآتى:

كانت لديه سفينة كبيرة وضع أطفاله وزوجاته فيها ودخل هو نفسه إليها.

وبعد أن صعد إلى السفينة جاءت إليه دببة وجياد، ومخلوقات كثيرة من أسود وأفاعى وجميع الحيوانات الأخرى التى تعيش على الأرض، كلٌّ أزواجًا. رحب بهم جميعًا. ولم تسبب له أى أذى؛ وتوطدت الصداقة بينهم كما أمر زيوس نفسه. وطفا الجميع في سفينة واحدة طوال المدة التى ساد فيها الطوفان. هذه هى قصة ديوكاليون كما رواها اليونانيون.

١٣ . وعما حدث بعد ذلك، تروى قصة مدهشة من أهل هيرابوليس تستحق أن ينظر إليها بإعجاب، {يقولون} إن فجوة ظهرت فى بلدهم استقبلت المياه جميعًا، وكان هذا الظهور هو السبب فى أن ديوكاليون أقام المذابح وشيد معبداً للإلهة هيرا فوق هذه الفجوة.[١] ولقد رأيت هذه الفجوة فعلاً، إنها تقع داخل المعبد وهى صغيرة الحجم جدًا. وإننى لا أعرف ما إذا كانت فى وقت ما كبيرة الحجم ثم عادت بعد ذلك إلى حجمها الحالى الصغير، ولكن الفجوة التى رأيتها صغيرة حقًا.

وتصديقاً لهذه الرواية فإنهم يفعلون ما يلى: يتم جلب الماء من البحر إلى المعبد فى كل عام مرتين. ولم يكن الكهنة وحدهم يحملون الماء، وإنما سوريا جميعها وبلاد العرب، وخلق كثيرون من وراء نهر الفرات يذهبون (جميعاً) إلى البحر، ويحمل الجميع المياه، ويقومون بسكبها في المعبد قبل كل شئ. وينزل الماء بعد ذلك إلى الفجوة التى كانت صغيرة على أن تستقبل هذه الكمية الكبيرة من الماء. وبينما كانوا يفعلون ذلك، يقولون إن ديوكاليون قد وطد هذه العادة فى المعبد تخليداً لذكرى كل من (تلك) الكارثة وذلك الفضل الإلهى.

---

(١) يربط لوكيانوس هنا طوفان ديوكاليون بالمدينة المقدسة عند السوريين حيث إن فجوة ظهرت بها هى التى ابتلعت مياه الطوفان ولذلك فإنهم يجلبون مياه النهر كل عام مرتين إلى المعبد ليسكبونه فى هذه الفجوة تخليدا لهذه الذكرى. والمقصود بالإشارة إلى البحر فى هذه الفقرة هو نهر الفرات وذلك طبقا لما أوضحه فيلوستراتوس. (Philostratus, Vita Apollonii, I, 20) وعن طقس جلب المياه إلى المعبد ، أنظر الفقرة ٤٨ من هذه المقالة "عن الإلهة السورية".

Strong and Garstang, op. cit., p. 49; № 21.

١٤ . والآن هناك رواية قديمة بينهم متعلقة بالمعبد وهى كالآتى:

يعتقد آخرون أن {الملكة} سميراميس[١] البابلية التى كانت لها إنجازات كثيرة فى آسيا بالفعل، هى التى أقامت هذا المعبد، لكنها لم تشيده لهيرا ولكن لأمها التى حملت اسم ديركيتو.[٢] ولقد رأيت

(١) سميراميس فى الأسطورة هى ابنة إلهة السمك (ديركيتو)، ويحدث خلط بين سميراميس والإلهة أستارتى أو عشتروت والإلهة عشتار، وقد وردت قصة سميراميس عند ديودوروس منقولة عن كتيسياس؛ ويطابق بعض الدراسين سميراميس بالشخصية التاريخية *sammuramat* زوجة الملك شماس . حدد الخامس (٨٢٠ق.م.)، وهو ابن الملك شالمنصر الثانى، وقد حكم سوريا فى الفترة من ٨١٠.٨٢٣ق.م. وبعد وفاته أصبحت سميراميس وصية على العرش وحمت البلاد إلى جانب ابنها ٧٨٢-٨٠٩ ق.م.، وكان لها تأثيرا كبيرا على الشعب في سوريا وما بين النهرين، ونظرا لما قدمته من إنجازات اعتبرها الناس نصف إلهة وقالوا إن ديركتيو أنجبتها نتيجة اقترانها بشاب سورى جميل.

محمد حسن وهبة، الرواية اليونانية القديمة، القاهرة (١٩٨٦)، ص ٧٠.؛

Strong and Garstang, op. cit., p. 52 ; № 24.

(٢) معبودة مدينة عسقلان، حيث يذكر ديودوروس الصقلى (القرن الأول ق.م.) وجود بحيرة بالقرب من مدينة عسقلان الموجودة بسوريا وعلى مقربة من البحيرة وجد معبد الإلهة ديركيتو Diod. Sic., Bibl. Hist., 2,4,2، التى كانت تمثل صورة محلية للإلهة السورية (أتارجاتيس) حيث ذكر استرابون أن كتيسياس كان يسمى أتارجاتيس بديركيتو. Strabo, 16, 4 , 27 ويؤكد بلينيوس الأمر نفسه بقوله إن اليونانيين يدعون أتارجاتيس بديركيتو أيضا.

Plin., Nat . Hist., V23, 19.

شكل ديركيتو في فينيقيا، إنه منظر غير مألوف؛ فنصفها (نصف) امرأة، والنصف الآخر من الفخذين إلى نهاية القدمين على هيئة ذيل سمكة. ولكن (صورة) الإلهة في المدينة المقدسة كانت {على هيئة} امرأة كاملة، وأسباب الثقة في القصة ليست واضحة لهم تمامًا. إنهم يعتبرون السمك شيئًا مقدسًا، ولا يلمسون السمك أبدًا. ومع أنهم كانوا يأكلون طيورًا أخرى، فإنهم لم يكونوا يأكلون لحم الحمام وحده لأنه كان مقدسًا عندهم. ويبدو أنهم كانوا يفعلون هذه الأشياء بسبب ديركيتو وسميراميس، فمن ناحية لأن ديركيتو كان لها شكل السمكة، ومن ناحية أخرى لأن الجزء السفلى لسميراميس على شكل الحمامة. ولكنني على أية حال أعتقد أن المعبد ربما يكون من صنع سميراميس؛ ولا أعتقد أن المعبد يرتبط بأى طريقة بديركيتو، حيث إن هناك بعض المصريين[1] لا يأكلون السمك ولم يكن ذلك بسبب تقديسهم لديركيتو.

١٥ . وهناك قصة أخرى مقدسة، سمعتها من رجل حكيم {تقول}:

وقد اتخذت ديركيتو في عسقلان شكل حورية البحر، جسد امرأة وذيل سمكة ويشير وجود بحيرة مليئة بالسمك المقدس ملحقة بمعبد عسقلان إلى الدور الذى لعبه سمك نهر الفرات في نشأة الإلهة والذى كوفئ السمك بمقتضاه ومنح مقعدا بين البروج.

تارن، الحضارة الهيلينستية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكى على، الألف كتاب، مكتبة الانجلو، القاهرة ١٩٦٦، ص٤٦٤.

(١) كانت مدينة أكسيرينخوس (البهنسا) تقدس نوعا من السمك الرمحى باسم أكسيرينخوس وله عندهم معبد موقوف على عبادته. حيث إن أهل أكسيرينخوس (البهنسا) قد خصصوا معبدا يقدسون فيه هذا النوع من السمك مثل غيرهم من المصريين الذين كانوا يقدسونه نظراً للدور الذى لعبه في أسطورة إيزيس وأوزيريس؛ قارن Herod., II , 72; Strab. XVIII, 1, 40.)) وانظر: عبد اللطيف أحمد على، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء أوراق البردى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٨، ص١٦٤ ؛ ملحوظة ٥.

وفى الوقت الذى كان فيه أهل اكسيرينخوس وغيرهم من المصريين يمتنعون عن بعض أنواع السمك فإن الكهنة المصريين كانوا يمتنعون عن جميع أنواع السمك؛ أنظر: رسالة بلوتارخوس "عن إيزيس وأزيريس"؛ ترجمة: حسن صبحى بكرى، مراجعة: محمد صقر خفاجة، القاهرة (١٩٧٧)، فقرة ٧ ص ص٢١.٢٢.

حيث إن الإلهة هى ريا (كيبيلى)،[1] فإن المعبد من صنع أتّيس. وكان أتّيس غلامًا ليديًا وكان أول من تعلم الطقوس العربيدة تكريما للإلهة ريا. وكان الفريجيون والليديون والثاموثراقيون يؤدونها، وتعلموها جميعًا من أتّيس. حيث إنه عندما قامت ريا بإخصائه امتنع عن ممارسة نشاطه الذكورى، واتخذ صورة النساء وارتدى الملابس النسائية وطاف الأرض كلها وأقام الطقوس العربيدة وهو يروى مأساته، ويتغنى بالإلهة ريا. وفي تجواله {هذا} مر بسوريا. وحيث إنه يوجد وراء نهر الفرات أناس لم يتقبلوه هو نفسه ولم يقبلوا طقوسه العربيدة، فقد أقام المعبد فى هذا المكان. والدلالة {على هذا} أن الإلهة تشبه ريا (كيبيلى) فى الكثير. حيث تحملها الأسود وهي تمسك الطبلة وتحمل تاجًا ذا أبراج على رأسها، تماما كما صور الليديون ريا. وتحدث [الرجل الحكيم] أيضًا عن الجاليين (الخصيان) الذين وُجِدوا فى المعبد، قائلاً إن (هؤلاء) الجاليين قاموا بخصى أنفسهم تقليداً (محاكاةً) لأتّيس وتبجيلاً للإلهة ريا (كيبيلي) وليس تكريماً للإلهة هيرا (أتارجاتيس). ويبدو كل هذا مقبولاً لى ولكنه ليس حقيقيًا؛ حيث إننى سمعت سببًا آخر للإخصاء أكثر تصديقًا.

(١) من الواضح هنا أن لوكيانوس يتحدث عن الإلهة الفريجية كيبيلى حيث يذكر محبوبها أتيس، ولم تقتصر عبادة كيبيلى على آسيا الصغرى وإنما وجدت عبادتها فى بلاد اليونان ومصر وفى روما وقد طابقها اليونانيون بالإلهة ريا زوجة كرونوس وأم زيوس؛ انظر، فايز يوسف محمد، عبادة كيبيلى فى روما، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عين شمس (١٩٩٠).

وقد برهنت الدراسات على وجود تماثل شديد بين كيبيلى وأتارجاتيس وبوجه خاص فيما يذكره لوكيانوس في فقرته هذه فقد صورت كلتاهما تجلس على عرش تدعمه الأسود وتمسك فى يدها الطبلة وعلى رأسها تاج ذو أبراج كما وجد الكهنة الجالين فى عبادة كلتيهما، بغض النظر عن سبب وجود عادة الخصى فى كلتى العبادتين؛ انظر: مجدى صحبى الهوارى، عبادة أتارجاتيس في روما، مرجع سابق.

وقد ذكر بعض الدراسين أن الإلهة السورية (أتارجاتيس) والإلهة الفريجية كيبيلى كانتا أختين، حيث إن كلا منهما تمثل الإلهة الأم، كما أن كهنة كل منهما تم اعتبارهما أخوة حيث إنهم اتسموا بصفات متماثلة، وقاموا بجولات دينية متشابهة وهو ما صوره أبو لليوس في قصيدة التحولات *Metamorphosis* .

Graillot, Le Culte de Cybele, Paris. (1912), p. 313.

١٦ . ويروق لى ما يقولونه عن المعبد، حيث إنهم يتفقون في الأغلب مع اليونانيين، فهم يعتقدون أن الإلهة هى هيرا وأن العمل (تشييد المعبد) تم بواسطة ديونيسوس[١] بن سيميلى . حيث إن {الإله} ديونيسوس وصل فعلاً إلى سوريا فى تلك الرحلة التى سلكها إلى إثيوبيا، حيث توجد فى المعبد علامات عديدة تبرهن أن ديونيسوس هو المنشئ {الحقيقى} له، ومنها ملابس بربرية وأحجار هندية كريمة، وأنياب أفيال أحضرها ديونيسوس من إثيوبيا، كما يقف فى المدخل زوج من عضو الذكورة ضخما الحجم للغاية، يحملان النقش التالى:

(١) ابن كبير الآلهة زيوس، من سيميلى ابنة كادموس ملك طيبة اليونانية ومؤسسها الفينيقي الأصل، صاحب فضل نقل حروف الهجاء إلى العالم الهيلينى الذى لم يكن على دراية بها من قبل (Cf. Herodotus, V, 58.)؛ ويبدو أن لوكيانوس أراد أن يشير إلى الأصول الشرقية للإله يونيسوس بوصفه بابن سيميلى.
وقد شهدته عملية ميلاد الإله أحداثاً درامية أو بالأحرى ساهم انشادها فى احتفالاته بعد ذلك فى نشأة الدراما، حيث خرج من بطن أمه قبل أن تتم مدة حمله بعد موتها بصاعقة زيوس، وأكمل الإله مدة حمله فى فخذ أبيه زيوس إلى أن خرج إلى الوجود فتعقبته هيرا بحقدها المعروف على كل من أنجبهم زيوس من زوجة غير شرعية فأمرت بتمزيقه إربا وإلقاء أشلاءه في قدر يغلي ماؤه، إلا أن جدته ريا، والدة زيوس ابن كرونوس، تمكنت من جمع أشلاءه وإعادته إلى الحياة من جديد؛ عن أسطورة ديونيسوس، انظر: عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية (أساطير الآلهة الصغرى)، الجزء الثانى، طبعة أولى، مكتبة الأنجلو، القاهرة (١٩٩٥)، ص ص٥٠٥.٥٣٧.
أما عن رحلة الإله إلى إثيوبيا والهند ومصر وسوريا، فإنها قد شكلت النموذج الذى احتذاه الإسكندر الأكبر أثناء فتوحاته فى الشرق فها هو أريان وهو يتحدث عن رحلة الإسكندر إلى الهند يذكر أن الإسكندر كان مصدقا لقصص الرحلات التى قام بها ديونيسوس .Arrian, V, 2, 10 كما أنه فى الوقت الذى كانت زيارة الإسكندر إلي معبد الإله آمون وإدعائه بأنه إبنه، تهدف إلى التقرب للمصريين، فإنها هدفت كذلك إلى الحصول على مباركة اليونانيين، حيث كان الخلط بين الإله ديونيسوس والإله أوزيريس . الذى أخذ يحتل تدريجيا موضع عبادة آمون بداية من عام ٦٦٤ق.م. حين أخذ نجم عبادة آمون يأفل بعد تدمير طيبة على يد الآشوريين في ذلك العام . معروفا عندهم، فها هو بلوتارخوس في مقالته (عن إيزيس وأوزيريس) فقرة ٣٥ بعد أن يقول إن ديونيسوس هو أوزيريس، يصف إحدى كاهنات أوزيريس بأنها إحدى تابعات ديونيسوس الملهمات (Plut., D. Is. et Os., 35)؛ انظر: حسن صبحى بكرى، مرجع سابق، ص ص ٤٦.٤٧، فقرة (٣٥).
ويرى برنال أن بلوتارخوس كان يعتقد كذلك بوجود وحدة بين الديانتين المصرية واليونانية فى الوقت الذى كان يرى فيه أن الديانة المصرية أقدم وأنقى من الديانة اليونانية.
برنال، أثينا السوداء، مرجع سابق، ص ٢٣١.

"أنا ديونيسوس كرست عضوى الذكورة هذين لهيرا زوجة أبى". والآن فإن هذا يعد كافيًا بالنسبة لى، وسوف أوضح لك شيئًا آخر يوجد في المعبد يرتبط بتكريس ديونيسوس {هذا}. إن اليونانيين كانوا يرفعون أعضاء ذكورة ديونيسوس، ويضعون عليها رجالاً قصاراً (أقزاماً) مصنوعين من الخشب، واحدًا على كل واحد، لهم أعضاء ذكورة كبيرة.[١] وتسمى الدمى (العرائس)،[٢] ويوجد الشئ نفسه فى المعبد، ففى الجانب الأيمن من المعبد يوجد قزم من النحاس له عضو ذكورة كبير".

١٧ . هكذا فإنهم يُرْوُون قصصًا {كثيرة} عن مؤسسى المعبد. وإننى أنوى الآن أن أتحدث عن المعبد فيما يتعلق بكيفية بنائه ولأى سبب أُقيم. يقولون إن المعبد الموجود الآن ليس هو المعبد الذى

(١) فضلا عن أعمال العربدة التى اقترنت بديونيسوس، فإن أعضاء الذكورة ترمز إلى عملية الإخصاب، العملية التى ارتبطت بعبادة الإلهة الأم في كل من الشرق والغرب، وكانت الإلهة السورية احدى هذه الإلهات، حيث صورت فى هيرابوليس وأماكن أخرى من سوريا علي هيئة إمرأة عارية تمسك ثدييها بيديها لتطعم كل شئ حى.
Perdrizet, "A Propose d' Atargatis", Syria 12 , Paris. (1941), pp 268-269.
عن أعضاء الذكورة في عبادة أتارجاتيس وفي قصة إيزيس وأوزيريس؛ انظر:
مجدى صبحى الهوارى، عبادة أتارجاتيس، مرجع سابق، ص ص٤٤.٤٥.
وبالنسبة إلى الأعمدة فى حد ذاتها فقد كانت الأعمدة من سمات الأماكن العالية (أماكن العبادة) عند الساميين سواء كانت هذه الأعمدة حجرية طبقا لما كان يتصوره القدماء من أنها تصل بينهم وبين السماء، أو أعمدة خشبية كانت في الأصل جزع شجرة من أشجار الغابة المقدسة لبعالهم، حيث كانوا يؤمنون بأن كل بعل من معبوداتهم يسيطر على رعاياه من فوق قمة العمود؛ أنظر: جيمس فريزر، الفولكلور فى العهد القديم (التوراة)، الجزء الثانى، ترجمة: نبيلة إبراهيم، دار المعارف، القاهرة (١٩٨٢) ، ص ص٦٦١ وما بعدها .

(٢) كان المصريون يحتفلون بأعياد ديونيسوس بطريقة مماثلة لاحتفال اليونانيين بهذه الأعياد، ولكنهم استعاضوا عن حمل أعضاء الذكورة *phalli* بدمى خشبية يبلغ طولها ذراعا واحدا تحملها النساء ويقمن بالدوران خلف عازف المزمار حول القرية، منشدين أغانى تمجد الإله باكخوس طبقا لما ورد عند هيرودوتوس الذى يقول إن المصريين لم يكن لديهم كورس راقص مخصص لهذه الاحتفالات (Cf. Herodotus, II, 48).

كان موجودًا فى البداية، ولكن ذلك (المعبد) قد تحطم عبر الزمان، أما المعبد الموجود الآن فإنه من صنع استراتونيكى[١] زوجة ملك الآشوريين.

ويبدو لى أن استراتونيكى هذه هى تلك التى أحبها ابن زوجها،[٢] والذى عالجه {من الحب} حنكة طبيب، حيث إنه عندما لازم سوء الحظ المحب، وبناءً علي حالة صمته، بدأ يفقد قواه وأصبح فى حالة واضحة من الخجل المزرى، ورقد مريضًا بلا حراك وتغير لونه تمامًا وتداعى جسده كل يوم. لكن عندما رأى الطبيب أنه أصبح مريضًا بدون سبب حقيقى. أدرك أن المرض هو الحب. فهناك دلالات كثيرة للحب الخفى: العينان الواهنتان والصوت الخافت ولون الجلد (البشرة) والدموع. وعندما أيقن {الطبيب} أن هذه الأشياء موجودة، وضع يده اليمنى على قلب الشاب واستدعى جميع من في المنزل؛ وعندما دخل كل واحد من الآخرين ظل (الشاب) في هدوء تام، لكن عندما وصلت

---

(١) كانت استراتونيكى ابنة الملك المقدونى ديميتريوس بوليوكيتيس ابن أنتيجونوس، تزوجها سليوقوس مؤسس المملكة السليوقية (٢٩٨ ق.م.) وذلك لتوطيد حكمه، وقد سلمها إلى ابنه أنتيوخوس الأول (سوتير) (٣٢٤.٢٦١ق.م.)، الذى شارك والده فى حكم أباميا، ومن المحتمل أن تكون استراتونيكى، قد لعبت دورا في التقارب الذى حدث فى عهد زوجها الثانى (أنتيوخوس) وبين كل من المملكة السليوقية ومملكة مقدونيا؛ عن دور استراتونيكى مع زوجيها الأول والثانى، انظر: سيد أحمد على الناصرى، الشرق الأدنى فى العصر الهيلينستى، دار النهضة العربية، القاهرة (١٩٩٧.١٩٩٨)، ص ص ٢١٩.٢٢٢.

(٢) كانت يبدأ لوكيانوس هنا فى رواية وجهين مختلفين للحب غير الشرعى، ففي الأول أقدم الشاب على حب زوجة أبيه وتمكن الحب منه حتى تداعى جسده، وذلك لكون هذا الحب يعد آثما كما وصفه لوكيانوس في الفقرة الثامنة عشر على لسان الطبيب.

وفى الثانى والذى يرويه لوكيانوس فى الفقرات ١٩-٢٦، تقع زوجة الملك فى حب شاب غريب، حيث وقعت استراتونيكى فى حب كومبابوس أثناء وجودهما معا في هيرابوليس من أجل بناء معبد للإلهة السورية، وكان كومبابوس قد قام بخصى نفسه درءاً للفتن.

على أية حال فإن القصتين تستدعيان إلى الذاكرة قصص الحب التى سادت عبادة الإلهة الأم في بلاد النهرين وسوريا حيث يبدو أنهما تحريفا أو رواية أكثر محلية لقصة حب الإلهة إنانا للراعى دموزي، وحب الإلهة عشتار لجلجامش. عن حب إنانا للراعى؛ انظر: س. ن كريمر، إنانا ودموزى: طقوس الجنس المقدس عند السوريين، ترجمة: نهاد خياطة، (ط٢)، دمشق (١٩٩٣). انظر أيضا: فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، بغداد (١٩٧٣).؛ و مجدى صبحى الهوارى، العناصر الشرقية فى عبادة أفروديتى، مرجع سابق، ص ص ١٥.١٦.

زوجة أبيه تغير لون بشرته وغدا شاحبًا ونبض قلبه بشدة. وأظهرت {هذه} الأعراض الواضحة للطبيب أن هذا هو أثر (مرض) الحب، وعالجه هكذا:

١٨ . استدعى والد الشاب الذى كان فى حالة ذعر شديد وقال له: "هذا هو الداء، إن ابنك قد أصابه الوهن ليس من المرض ولكن من الإثم؛ حيث إنه في الحقيقة لا يعانى أى مرض ولكن يعانى من الحب والولع. لقد رغب فيما لن يحصل عليه أبدًا، فقد أحب زوجتى التى لن أتخلى عنها أبدًا".

وبهذه الطريقة الحكيمة قام {الطبيب} بخداعه، بخداع الأب الذى قال في الحال، "أتوسل إليك أيها الطبيب ألا تترك ابنى يموت حيث إنه لم يرغب بمحض إرادته في هذه الكارثة، ولكن المرض أصابه قهرًا. وعليك أيها الطبيب ألا تجعل غيرتك تجلب الدمار للعالم كله، ولا تدع القتل يجد طريقه إلى مهنتك (الطب)"، لقد كان حقا يجهل ما اختاره، لكنه (الطبيب) أجاب مرة ثانية: "إنك تندفع تجاه أفعال خطيرة، حيث تطلب منى أن أتخلى عن زوجتى وتجعل الطبيب يعيش رجلاً (وحيدًا . عزبًا). وماذا كنت تفعل أنت نفسك إذا كان قد رغب فى زوجتك أنت؟ أكنت {ستوافق} على ما تطلبه منى؟"

وأجاب (الملك) على هذه (الكلمات) بأنه في الوقت الذى لا يود التخلى فيه عن زوجته، فإنه لن يضن على ابنه بالنجاة حتى إذا كان ذلك {الولد} قد أُغرِم بزوجة أبيه؛ حيث إن فقد الزوجة حدث لا يضاهى فقدان الابن. وعندما سمع الطبيب هذه (الكلمات) قال "ولماذا إذًا تتوسل إلى؟ إنه يحب زوجتك أنت، إن كل ما قلته لك كان خدعة".

وآمن الملك بكل {ما سمعه} وترك زوجته ومملكته لابنه وغادر إقليم بابل وقام بتأسيس مدينة عند نهر الفرات تحمل اسمه هو، حيث وافته المنية هناك. وبهذه الطريقة عرف الطبيب الحب وعالجه.

١٩ . وعندما كانت استراتونيكى هذه لا تزال متزوجة من زوجها الأول فإنها رأت حلمًا مؤداه أن هيرا أمرتها أن تبنى لها معبدًا فى المدينة المقدسة (هيرابوليس)، وأنذرتها بشرور كثيرة إذا لم تطعها، وفي البداية لم تبال الملكة بذلك (الحلم)، ولكن بعد أن نزل بها مرض شديد، أعلنت الرؤيا إلى زوجها، وقامت باسترضاء هيرا وعزمت على بناء المعبد.

وبعد أن أصبحت في حالة صحية جيدة، أرسلها زوجها في الحال إلى المدينة المقدسة ومعها أموال كثيرة وفرقة كبيرة من الجيش، جزء منها من أجل البناء وجزء من أجل حمايتها. واستدعى واحدًا من أصدقائه، وهو شاب جميل جدًا، كان له اسم كومبابوس وقال "إننى أقول لك، إنك يا كومبابوس صديق شجاع، أنت أفضل أصدقائى، فعلا إننى أمدحك بسبب حكمتك وفضلك الذى إتضح لنا بالفعل.

والآن أجدنى في حاجة إلى ثقتك (أمانتك) العظيمة حيث إننى أرغب في أن تكون مصاحبًا لزوجتى وأن تنهى عملاً من أجلى، وتؤدى واجبات مقدسة وتقود جيشى، وسوف ينالك تكريم كبير عند عودتك". وبعد ذلك مباشرة توسل إليه كومبابوس وألح عليه ألا يرسله وألا يعهد إليه بكل هذا، أى بالكنوز الوفيرة وبزوجته وبالواجب المقدس. فلم يكن يخشى من كل هذا وإنما {خشى} تولد الغيرة لديه (لدى الملك) على استراتونيكى فى وقت لاحق بعد أن نوى أن يعيش وحيدًا.

٢٠ . ولكنه لم يجد إلى مطلبه هذا سبيلاً، فجرب مطلباً آخر وهو أن يمنح له مهلة سبعة أيام بعد أن ينهى أمراً هاماً من أموره التى يحتاجها، وعندما حصل على هذا {المطلب} بسهولة، عاد إلى منز له وألقى نفسه على الأرض وأخذ يرثى حظه العاثر؛ "يا لى من بائس! كيف لى بهذه الثقة؟ وكيف لى بهذه الرحلة؟ والآن إلى أى نهاية أتوجه؟ إننى شاب وسوف أرافق امرأة جميلة، إن هذا سيكون كارثة بالنسبة لى إذا لم أبعد تمامًا سبب الشر؛ ولذا فمن الضرورى أن أُتِم عملاً سوف يعالج جميع مخاوفى".

وبينما كان يقول ذلك قام بإخصاء نفسه وقطع أعضائه التناسلية،[1] ووضعها في إناء صغير ومعها المر والعسل وتوابل أخرى. ودمغها بالختم الذى كان يحمله، ثم عالج جرحه. وبعد ذلك عندما

(١) يتضح من الفقرة أن كومبابوس قام بخصى نفسه بغرض إزالة جميع العوائق التى قد لا تمكنه من إنجاز مهمة بناء المعبد بصحبة الملكة، فقد كانت عملية الخصى تتم إما من أجل زيادة خصوبة الأرض أو من أجل التخلص من الانقياد الأعمى للغرائز وأقواها الجنس، كما أن هذه العادة كانت تتم بغرض منح الإلهة مزيد من القوة في مجالى الخصب والنماء؛ عن أسباب الخصى وأثره؛ أنظر: فايز يوسف محمد، "دراسة وترجمة القصيدة أتيس للشاعر الرومانى كاتوللوس"، مجلة الدراسات المصرية . الإيطالية أوزيريس، المجلد الثانى، القاهرة (١٩٩٢)، ص ص ٣٢،٣١.

تبينت له {إمكانية} الرحيل، عاد إلى الملك وقدم له الإناء بحضور جمع غفير وقال ما يلى: "إن هذا يا سيدى هو أعظم كنز لدى فلتحتفظون به في مكان خفى بمنزلكم، إننى كنت قد أحببته (الكنز الوديعة) جدًا، والآن فأنا ذاهب فى رحلة طويلة وسوف أجده محل اهتمام منكم. عليك أن تحتفظ به لى في مأمن، حيث إنه عندى أفضل من الذهب، إنه يساوى حياتى. وحال عودتى سوف آخذه منك". وبعد أن أخذه الملك قام بدمغه بختم آخر وأمر خزنته أن يحفظوه.

٢١ . ثم اتخذ كومبابوس طريقه بطمأنينة، حتى وصلوا إلى المدينة المقدسة وبدءوا بسرعة في بناء المعبد، ومرت ثلاث سنوات وهم فى عملهم، اكتملت فيها الأشياء التى كان يخشاها كومبابوس وإن كانت استراتونيكى خلال هذه الفترة الطويلة التى أمضتها معه قد بدأت تحبه، فإنها أصبحت بعدها متيمة به جدًا. ويقول الرجال الموجودون فى المدينة المقدسة أن هيرا كانت مصدر هذه المشاعر، وقد كان كومبابوس شجاعًا لدرجة أنه لم يهرب أبدًا {من أداء واجبه} ولكن استراتونيكى يجب أن تعاقب حيث إنها لم تسرع ببناء المعبد.

٢٢ . وفى البداية فإنها (الملكة) وارت مشاعرها (تصرفت بخجل) وأخفت علتها، ولكن بعد أن تحولت {حالتها} من الهدوء إلى حالة أكثر سوءاً، خرجت علىالناس وظلت تبكى طوال اليوم، وأخذت باستمرار تنادى على كومبابوس، فقد كان كومبابوس كل شئ بالنسبة لها. وفي النهاية أصبحت في حاجة إلي أن تبحث عن تبرير مقبول لهذه الحادثة. لقد كانت تأخذ حذرها من إعلان حبها لشخص غريب، وكانت تشعر بالخجل من مجرد محاولة فعل ذلك. وعلي هذا فقد صممت علي هذه (الحيلة)، عليها ألا أن تقابله للحديث معه إلا بعد أن تجعل نفسها ثملة من شرب الخمر. فعندما يكون المرء مثقلاً بالخمر يذهب الحياء والارتباك ولا يوجد دافع للخجل ولكن تعزى كل الأفعال التى تحدث وقتها إلى الجهل (عدم القدرة على الادراك).

وآمنت بهذا وهذا ما فعلته: فبعد أن تناولت وجبتها ذهبت إلى أرباض المنزل الذي يقيم فيه كومبابوس، وتوسلت إليه وقد تعلقت بركبتيه وأخبرته بحبها، ولكنه واجه حديثها بجفاء ورفض هذا الأمر وقال لها إنك ثملة. وعندها قامت بتهديده بأنها سوف تفعل فى نفسها مصيبة كبيرة، فخاف عليها وقام بإخبارها بالقصة كاملة وقص عليها مأساته كلها، وبرهن لها على عمله علانية. وبعدما رأت استراتونيكى ذلك توهمت أنها لم تر شيئًا، ورسخ ذلك فى عقلها، وهدأت من رغبتها تلك لكنها

صاحبته فى كل مكان مغريةً إياه بحب (بغرام) غير ذى جدوى. وحدث هذا الحب فى المدينة المقدسة، ولا يزال يحدث حتى الآن؛ حيث تتحرك {قلوب} النساء تجاه الجاليين (الخصيان)، ويشغف الخصيان بالنساء دون حدوث أى تأثير، لكنهم يعتقدون أن ذلك أمر مقدسًا تمامًا بالنسبة لهم.

٢٣ . وعلى هذا وبأية حال فقد تم حجب ما حدث بشأن استراتونيكى في المدينة المقدسة عن الملك، لكن الكثيرون الذين عادوا اتهموهما، ورووا جميع أفعالهما. وأصبح الملك في ضيق شديد منهما، وقام باستدعاء كومبابوس قبل إنهاء مهمته. وقال آخرون رواية واقعية أن استراتونيكى عندما لم تتمكن من أغراضها، كتبت خطاباً لزوجها تتهم فيه كومبابوس بأنه تعرض لها بالقول والفعل مثلما لاك اليونانيون سيرة كل لمن اسثينيبويا[١] وفايدرا من كنوسوس، وهذا ما قاله الآشوريون عن استراتونيكى. إننى الآن أؤمن أن لا اسثينيبويا ولا فايدرا[٢] قد فعلا هذا، حتى لو أن فايدرا قامت حقاً بإغراء هيبوليتوس علينا أن نترك كل تلك الأقوال دون أن نلقى إليها بالاً.

---

(١) اسيثنيبويا *Stheneboea* هو الاسم الذى عرفت به أنتيا *Anteia* زوجة بروتيوس *Proteus* ملك تيرينس *Tiryns* وقد وقعت هذه الزوجة في حب مواطن من كورنثة يدعى بلليروفون بن جلاوكوس *Glaucus* وحاولت إغراءه وعندما رفض حبها وجهت ضده إتهاما بأنه حاول إغتصابها وعلى هذا قام بروتيوس بإرساله إلى لوباتيس *Lobates* ملك ليكيا ووالد *Anteia* (*Stheneboea*) ومعه خطاب مغلق أوصى فيه بقتل حامله، ولكن الملك لوباتيس رأى أن يرسل بلليروفون إلى مهام مهلكة، فأخبره أن عليه أن يقتل الوحش الغريب والذى يجمع شكله بين الأسد والثعبان وأنثى الماعز وأن يحارب الأمازونيات وقد تمكن بيلليروفون من العودة مظفرا، حيث قتل الوحش وهزم الأمازونيات في ليكيا (Hom., II, 6, 186)، وبعد عودة بيلليروفون ونجاته من المكيدة، قام الملك لوباتيس بمنحه نصف مملكته وزوجه من ابنته.

(٢) فايدرا وهيبوليتوس: بعد عودة ثيسيوس من كريت سالما بعد قضائه على المينيتاوروس، وموت أبيه أيجيوس بعد أن ظن أن ابنه قد هلك، تولى ثيسيوس عرش أتيكا وتزوج من هيبوليتى التى أنجبت له هيوليتوس وبعد أن ماتت تزوج البطل ثيسيوس من فايدرا أخت أريادنى ابنة ملك كريت التى كانت قد ساعدته على الخروج من قصر التيه، وكان قد وعدها بالزواج ولكنه عاد إلى أثنيا وتركها وعند وفاة زوجته كانت أريادنى قد أصبحت زوجة للإله ديونيسوس، فتزوج من أختها فايدرا وعاشت معه في هناء وسعادة إلى أن ألقت أفروديتى فى قلبها حب ابن زوجها هيبوليتوس الذى كان شابا يافعا يهوى الصيد في البرية ويقدس معبودته أرتميس العذراء، فأخذت فايدرا تخرج وراءه إلى الغابات، وبعد أن جمعهما القصر أثناء غياب ثيسيوس في رحلة طويلة ازدادت نار الحب اشتعالا في قلب فايدر، وبعد أن سرت أنباء وفاة ثيسيوس فى رحلته ونزوله إلى العالم السفلى، تجرأت المربية وأخبرت هيبوليتوس بأمر

٢٤ . وعندما وصلت الأنباء السيئة إلى المدينة المقدسة وعلم كومبابوس بالإتهام كان واثقًا من نفسه، لأنه كان قد ترك دليل براءته فى وطنه، وعندما عاد قيده الملك فى الحال وقام بوضعه في السجن. وبعدئذ وبحضور أصدقائه الذين كانوا موجودين عندما أرسل كومبابوس، أمر بأن يُوضع فى المواجهة فى منتصف {الساحة} ووجه إليه تهمة الإغراء والفجور؛ وأخذ يلومه كثيرًا جدًا وجعله يتذكر الثقة والصداقة، قائلاً: إن كومبابوس قد وقع فى الخطيئة ثلاث مرات، الأولى أنه مارس البغاء والثانية أنه خان ثقته وأخيرًا ارتكب إثمًا في حق الإلهة حيث إنه فعل هذا بينما كان يقوم بعمل خاص بها. وقال حاضرون كثيرون أنهم رأوا الرفيقين يعانق كل منهما الآخر جهارًا. وفى النهاية أتضح للجميع أن كومبابوس يجب أن يموت فى الحال، لأن ما فعله جزاءه الموت.

٢٥ . وفى تلك الأثناء وقف (كومبابوس) ولم يقل شيئًا؛ لكن الآن بينما كان يُحْمَل إلى القتل، صاح طالبًا وديعته، قائلاً إنه يُقاد {إلى الموت} ليس بسبب العصيان ولا بسبب {انتهاك} حياة {الملك} الزوجية، ولكن بسبب أن {الملك} رغب في {امتلاك} ما تم وضعه {أمانة} عنده عند رحيلى. وبعد هذا قام الملك باستدعاء خازنه وأمره بإحضار الإناء الذى قدم إليه لوضعه في الخزانة. وبعد أن أحضره (الخازن) قام كومبابوس بنزع الأختام وأظهر الأشياء التى كانت بداخله وبين الألم الذى عاناه هو نفسه وقال:

فايدرا وهمت فايدرا بهيبوليتوس فصدها، فتوسلت إليه ولكنها لم تلق مجيبا، فتوسلت إليه أخيرا ألا يخبر أحد بما دار بينهما، فعاهدها على ذلك.

وبعد أن جاءت أنباء عودة ثيسيوس من العالم السفلى على يد صديقه هيراكليس احتارت فايدرا في أمرها ماذا تفعل وقد همت بخيانة زوجها، وما كان منها إلا أن أخبرت زوجها بأن ابنه قد حاول اغتصابها فصب الأب لعنته على ابنه ودعا والده الإله بوسيدون أن يهلكه وخرج الابن إلى شاطئ البحر بعد أن فشل في الدفاع عن نفسه وفجأة خرج وحش هائل من البحر أخاف جياد هيبوليبتوس فهاجت ومزقت هيبوليتوس إربا، بعد أن كانت فايدرا قد اعترفت لأبيه بالحقيقة قبل انتحارها، وندم الأب وقت لا ينفع الندم وجمع أشلاء جسد أبنه، وقدم له الشعائر الجنائزية اللائقة.

لقد مثلت أسطورة فايدرا وهيبوليتوس معينا لا ينضب لإلهام الفنانين والأدباء والشعراء على مر العصور، فجعلوا مضمونها مادة لأعمالهم الفنية، ومن بينهم سوفوكليس ويوريبيديس وسينيكا وراسين وغيرهم. انظر:

عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، أساطير البشر، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو، القاهرة ٢٠٠٣، ص ص ١٨٩.٢٢٥.

"أيها الملك إن هذا ما كنت أخشاه عندما صممت على إرسالى إلى هذه المهمة، مع أننى لم أكن أرغب فى ذلك، وعندما اتضح لى منك أن {الأمر} ضرورى وحتمى جدًا قمت بفعل هذا الشئ الحسن بالنسبة إلى سيدى ولكنه ليس عملا ناجحاً بالنسبة لى. ولكنني بهذا أكون قد أنقذت نفسي من ظلم (إثم) الرجل".

٢٦ . وبعد هذا نادى (الملك) عليه وعانقه وبكى في الحال قائلاً: "أيا كومبابوس أى ألم شديد فعلته بك (سببته لك)؟ وأى عمل فظيع نزل بك وحدك من بين الرجال بهذه الطريقة؟ إننى أثنى علي كل هذا ولكن ليس على إطلاقه، أيا أيها البائس، الذى عانى كل هذا، لم يكن عليك أن تعانى كل هذا ولا أن تخبرنى به (تظهره لى)، حيث لا حاجة لى بهذا الدفاع. ولكن حيث إن الإلهة قد أرادت هذا، فسيكون لك منا أولاً مكافأة، والموت للمبلغين أنفسهم، وبعد ذلك تأتى الهدية الكبرى، ذهب كثير، وفضة وفيرة وثياب آشورية (سورية) وجياد ملكية. وسوف تدخل علينا بدون استئذان ولن يحجبك أحد عن ناظرى حتى وإن كنت أنام مع زوجتى". هكذا قال وهكذا فعل؛ وتم اقتياد أولئك (الواشين) مباشرة (فى الحال) إلى القتل، وقدمت له الهدايا وتم اتخاذه صديقًا حميمًا ولم يظهر أحد من بين السوريين مثل كومبابوس فى الحكمة واللياقة.

وبعدها طلب منه {الملك} أن يستكمل ما تبقى {من بناء} فى المعبد . حيث إنه (كومبابوس) كان قد تركه غير كامل (البناء) . فأرسله ثانية، فأتم المعبد واتخذه مقرًا لنفسه. وأذن الملك أن يُقام له تمثال من النحاس في المعبد بسبب شجاعته وحسن صنيعه؛ ولا يزال حتى الآن تمثال كومبابوس النحاسى الذى صنعه هيرموكليس[١] من رودوس تكريماً له موجودًا فى المعبد، وهو يشبه المرأة فى الشكل لكنه يرتدى ملابس الرجل.

ويقال إن المقربين جدًا من بين أصدقائه تمسكوا بمشاركته مصيره لاقتناعهم بمأساته؛ حيث إنهم قاموا بخصى أنفسهم واتبعوا نفس طريقة حياته تلك. ويروي آخرون أساطير عن هذا الأمر، حيث

(١) هيرموكليس الروديسى: مثال غير معروف سوى من هذه الفقرة، ومن الضرورى أنه كان هناك نقش على قاعدة التمثال يحمل اسم صانعة، ومن المرجح أن هذا التمثال كان نسخة جديدة لتمثال آخر قديم للجالى الأصلى، وقد يكون المؤسس الحقيقى للمعبد، وتم صنع النسخة الجديدة متزامنة مع تجديدات سيليوقوس للمعبد نفسه.
A.M. Harmon, L.C.L., op. cit, pp. 376-377.

يقولون إنه بعدما أحبت هيرا كومبابوس أوحت إلى كثيرين بفكرة الخصى، لكى لا يصبح وحده الذى يتحسر على رجولته.

٢٧ . واستمرت هذه العادة حتى الآن منذ أن حدثت أول مرة، ويقوم الكثيرون كل عام بخصى أنفسهم فى المعبد ويصبحون مخنثين، إما إتباعًا لكومبابوس أو تبجيلاً لهيرا، فحقًا كانوا يقومون بخصى أنفسهم وبعدها لا يرتدون ملابس الرجال أبدًا، ولكنهم يرتدون ملابس النساء ويقومون بأداء أفعال النساء.

وسمعت أيضًا أن منهم من أرجع السبب إلى كومبابوس (وسمعت أيضًا أن أصل هؤلاء يرجع إلى كومبابوس)، حيث إن هذا حدث مشاركةً له {فيما فعل من قبل}؛ فعندما كانت امرأة أجنبية تشارك فى الاحتفال الكبير، رأت مخلوقًا جميلاً يرتدى ملابس الرجال (كومبابوس)، غرقت في حبه تمامًا، وبعد أن اكتشفت أنه مخلوق مخنث تخلصت من حياتها، وبناءًا على هذا فإن كومبابوس بعد أن أصابه الجزع لما حدث حيث إن سوء الحظ تملكه تجاه أفروديتى (لازمه سوء حظ فى الحب)، قام بارتداء ملابس النساء وبهذه الطريقة لن تخدع فيه امرأة أخرى مثل هذه. وهذا سبب الملابس المزركشة لكهنة الجاليين (الخصيان).

وبالنسبة إلى كومبابوس فإن هذا كل ما يمكن أن أقوله، أما من ناحية الكهنة الجاليين فإننى سوف أتحدث عنهم في حديثى اللاحق، وعن خصيهم لأنفسهم وكيف يقومون بعملية الخصى وبأى طريقة يدفنون؟ ولأى سبب كانوا لايدخلون إلى المعبد، وفى البداية لدى رغبة أن أتحدث بالطبع عن موقع المعبد وعن ضخامة حجمه:

٢٨ . وكان الموقع نفسه الذى أقيم فيه المعبد {عبارة عن} ربوة عالية، تقع في وسط المدينة تمامًا يحيط بها سياجان، كان أحدهما قديمًا، ولكن الآخر لم يكن أقدم من أيامنا {هذه}. وتقع واجهة المعبد في الجهة الشمالية ويبلغ اتساعها مئة أورجيا (فاثوم)،[١] وتقف فى هذا المدخل أعضاء الذكورة (الفالوس) التى شيدها ديونيسوس ويبلغ ارتفاعها ثلاثمائة أورجيا. ويصعد رجل على عضو

(١) الأورجيا هو مقياس للطول يقابل امتداد الذراعين، وحوالى (٦) أقدام ويبلغ الاستاديوم *stadium* مائة أورجينا، عند هوميروس وهيرودوتوس.

ذكورة منها مرتين كل عام، يظل على قمة العمود لمدة سبعة أيام. ويقال إن سبب صعوده هو الآتى: إنه يناجى الآلهة من أعلي ويناشدها الخير لسوريا كلها مجتمعة وتستمع الآلهة إلي صلواته من مكان قريب. ويوجد اعتقاد لدى آخرين أن ذلك كان يحدث في ذكرى تلك النكبة التى ألمت بديوكاليون (الخاصة بديوكاليون)، وذلك عندما صعد الناس إلى الجبل وتسلقوا الأشجار الباسقة خوفًا من المياه المغرقة.(١)

والآن فإن الأمر عندى غير جدير بالتصديق. وإننى أعتقد أن هذا كان يحدث لديهم تبجيلاً لديونيسوس، وهذا ما استنتِجَه من هذه (الحقائق التالية). كان الكثيرون يشيدون أعمدة الفالوس هذه تبجيلاً لديونيسوس، ويضعون أعلى هذه الأعمدة دُمى خشبية على هيئة رجال، ولكننى لن أتحدث عن سبب ذلك. ويبدو لى الأمر هنا أنه كان يحدث تقليدًا للدمى الخشبية التى كانت على هيئة الرجال.

٢٩ . وكان الصعود إليه (إلى الفالوس) يتم هكذا : يلف الرجل نفسه والعمود بحبل قصير، وبعد ذلك يصعد على قطع خشبية مثبتة في العمود تتسع لوضع طرف قدمه، وبينما كان يصعد، كان يقذف بالحبل لأعلى وهو ممسك به من الجانبين بقوة. وإذا كان هناك من لم ير هذه (الطريقة) ورأى أولئك الذين يتسلقون النخيل سواءًا فى بلاد العرب أو فى مصر(٢) أو فى أى مكان آخر، فإننى أقول له إنها كذلك (بالمثل).

وعندما يصل إلى نهاية الرحلة، فإنه يُدَلى، حبلاً آخر كان لديه، وكان حبلاً طويلاً، يسحب به ما يحتاجه من أشياء، مثل الخشب والملابس والآنية (الأدوات)، ويصنع منها مستقرًا يشبه الكوخ (المنزل الخشبى) يمكث فيه طوال الأيام التى ذكرتها {من قبل}. وكان الكثيرون يُحضِرون قطع الذهب والفضة والبعض يُحضِر قطع النحاس، التى اعتادوا على استخدامها {كعملة} ويضعونها في

(١) تعد هذه إشارة إلى طوفان ديوكاليون وإلى الروايات المتعددة التى تذكر أن بعض من كتبت لهم النجاة صعدوا إلى قمم الجبال العالية وتسلقوا الاشجار، عن الناجين من طوفان ديوكاليون، انظر: مجدى صبحى الهوارى، "صورة الطوفان فى المصادر الكلاسيكية ومدى ارتباطها بمصادر الشرق الأدنى القديمة"، مرجع سابق، ص ص ٧٦٠.٧٦٥.

(٢) مازال الناس بالفعل حتى أيامنا هذه يتسلقون النخل بنفس الطريقة التى أشار إليها لوكيانوس.

الإناء الذى كان الرجل قد تركه قريبًا {من العمود} وكانوا يذكرون أسماءهم كل على حدة حيث يعلن الشخص الذى كان يقف دائما قريبًا (من العمود) الاسم عاليًا، وعندما كان يسمع {الرجل} الاسم، كان يقوم بالصلاة من أجله وبينما كان يصلى فإنه كان يطرق آلة نحاسية كانت تحدث عند حركتها ضجيجًا قويًا وصاخبًا.

ولم يكن الرجل ينام أبدًا، حيث إنه إذا أخذه النوم ذات مرة يصعد إليه عقرب ويوقظه، حيث كان يؤذيه أذى بالغًا (يلدغه)، وكان هذا ما يحل به عقابًا له علي نومه. و{هذه} القصة التى تروى عن العقرب قصة مقدسة، وتلائم الآلهة، وأما إذا كانت حقيقية {أم لا} فإننى لا أملك دليلاً. لكن يبدو لى أن الخوف من السقوط كان يدفعه بقوة إلى اليقظة.

٣٠ . ويكفى الآن {ما قيل} عن هذا الأمر الخاص بمتسلقى العمود. ومن ناحية المعبد فإنه ينظر إلى الشمس عند شروقها. أما عن شكل المعبد الخارجى وصنعته فإنه يشبه في ذلك المعابد التى تم بناؤها فى إيونيا. {هناك} قاعدة كبيرة ترتفع عن الأرض بمقدار اثنين أورجيا، بنى عليها المعبد، وتم إقامة الدرج الصاعد إليه من الحجر ولم يكن عاليًا بدرجة كبيرة. وبعد أن تصعد تجد رواقًا عجيبًا وكبيرًا وفيه {الكثير} من الأبواب المغطاة بالذهب؛ والسقف {أيضاً} كله من الذهب؛ ولذلك فإن المعبد يضيء (يلمع) من الداخل من كثرة الذهب. ويخرج منه عبير ذو رحيق إلهي من ذلك النوع الذى يقال أنه يأتى من إقليم الجزيرة العربية،[١] وبينما تقترب منه يرسل إليك نسمات طيبة

(١) من المرجح أن لوكيانوس هنا يشير إلى إحراق البخور في المعبد، ذلك البخور الذى كان يحرق فى معابد أفروديتى فى بافوس بقبرص والذى وصفه فرجيليوس بالبخور السبأى، ولقد كانت بلاد العرب خاصة والشرق بوجه عام مصدرا مهما من مصادر العطور، وقد كانت العطور من قوى أفروديتى إلهة الخصب والنماء والتى ارتبطت عبادتها فى بعض الروايات بشجرة المر وكذلك بنبات الآس النبات العطر، وقد كانت الشعائر البابلية تتضمن حرق البخور كما كان اليهود والوثنيون يقدمون البخور تكريما لأستارتى ملكة السماء، وتشير المصادر المختلفة إلى تماثل أستارتى والإلهة السورية وإيزيس وأفروديتى ويذكر لوكيانويس فى موضع آخر أن معبد أفروديتى فى كنيدوس كان مليئا بالأشجار والأزهار العطرة . Frazer, Adonis…., op. cit., p. 230; cf., Verg., Aen. I, 415-417; Cf., Lucian , Dial. Mort. , 12;
انظر: مجدى صبحى الهوارى، "العناصر الشرقية فى عبادة أفروديتى"، مرجع سابق، ص٧٣.٧١ و ١٥٢.١٤٩.

(عطرة) جداً حتي إن كنت بعيداً؛ وعندما تغادره فإنها (الرائحة العطرة) لا تتركك أبداً، ولكن تظل ملابسك تحمل هذا العبير لمدة طويلة ويظل فى ذاكرتك على الدوام.

٣١ . والمعبد من الداخل ليس واحدًا وإنما أقيم فيه جزء (مزار) داخلى آخر. وكان الدرج الصاعد إليه (إلى المزار الداخلى) قليلاً؛ ولم يكن المزار مزوداً بأبواب، لكنه كان قد ترك مفتوحًا تماماً. وفي الوقت الذى كان الجميع يدخلون إلى المعبد الكبير، كان الكهنة فقط يدخلون إلى المزار الداخلى (قدس الأقداس)، وليس جميع الكهنة على الإطلاق وإنما أولئك الذين كانوا أكثر قربًا من الآلهة، وجميع من يباشرون الخدمة في المعبد. وفى هذا (المزار . قدس الأقداس) أقيم تمثالان أولهما {تمثال} الإلهة هيرا (أتارجاتيس) وثانيهما {تمثال} الإله زيوس الذى يسمونه باسم آخر.[١] كلاهما مصنوع من الذهب وكلاهما يجلس، فالإلهة هيرا تحملها الأسود، أما زيوس فيجلس على الثيران.

وبكل تأكيد فإن تمثال زيوس يماثل في الشكل تماثيل زيوس جميعًا فى الملمح وفى الرأس وفي الملابس والعرش، إن لم تكن لديك رغبة فى أن تراه مشابهاً لإله آخر.

٣٢ . لكن هيرا (أتارجاتيس) عند النظر إليها فإنها تظهر بشكل متعدد، وفى حقيقة القول فإنها تمثل هيرا من كل الوجوه ولكنها تحمل بعض الملامح من أثينا ومن أفروديتى ومن سيلينى ومن ريا

(١) لقد برهنت المصادر المختلفة على أن إلهى هيرابوليس كانا يسميان بالإلهة أتارجاتيس والإله حدد، فها هو بلينيوس يقول إن الإلهة التى كانت تعبد في مدينة هيرابوليس كانت تسمى أتارجاتيس(Plin, Nat.Hist,V, 23, 19) ، ويتحدث ماكروبيوس عن معبودى هيرابوليس الذين يقدسهما السوريون ويرون فيها إلهين قديرين يمثلان الشمس والأرض ويسمى الإله حدد والإلهة أتارجاتيس (Marcrob, Sat , I , 23 , 17-20)، أما بشأن وصف لوكيان لوضع تمثال كل منها فقد أكدته إحدى عملات المدينة وترجع إلى القرن الثالث الميلادى حيث تصور الإلهة تجلس على عرش تدعمه الأسود ويجلس الإله على عرش تدعمه الثيران، وقد ارتبطت الأسود بإلهة الأرض مثل كيبيلى كما أن الثيران قد إرتبطت بإله السماء (زيوس). انظر:

Strong and Garstang, op. cit., pp. 70-71.

وقد برهنت نقوش ديلوس علي تطابق الإله حدد قرين أتارجاتيس مع الإله زيوس، ويذكر أن كليهما كان إلها للبرق والرعد، كما برهنت نقوش ديلوس كذلك على تماثل الإلهة أتارجاتيس مع الإلهة أفروديتى. انظر؛ مجدى صبحى الهوارى، عبادة أتارجاتيس فى روما ،مرجع سابق، ص ص ٣٧ – ٤٣ .

ومن أرتميس ومن نيميسيس ومن ربات القدر.[١] وتمسك الصولجان في يد وتمسك في اليد الأخرى فلكة المغزل، وتخرج من رأسها أشعة الشمس وتتوج بتاج على شكل برج وتتمنطق بالحزام الذى يزينون به {أفروديتى} السماوية وحدها. وجزء منها (من تمثالها) مرصع من الخارج بالذهب وبأحجار نفيسة جدًا، البعض منها أبيض اللون والآخر رقيق مثل الماء والكثير مثل العنب والكثير براق مثل النار، علاوة على كثير من عقيق سردينيا وياقوت أزرق وزمرد وهى الأشياء التى حملها المصريون والهنود والإثيوبيون والميديون والأرمن والبابليون.

والآن سوف أحكى عن ذلك الشئ الذى يستحق أن يكون الشئ الأكثر عجبا، إنه تلك الجوهرة التى تحملها على رأسها؛ والتى تسمى المصباح المضئ والتى تأخذ اسمها من الأثر الذى تحدثه، حيث يخرج من هذه الجوهرة ليلاً نور ساطع يضئ المعبد بأسره، وكأنه ينبعث من مصابيح، ويخفت هذا الضوء نهارًا، إن شكله مثل وهج النار الشديد.

وهناك أعجوبة أخرى فى التمثال، فلو أنك نظرت إليه وهو جالس من الأمام فإنه ينظر إليك وتتبعك نظرته أينما ذهبت، وإذا نظر إليه شخص آخر من موقع مغاير مستفسرًا فإنه يصل إلى نتيجة مماثلة على نفس النمط.

٣٣ . وفيما بين التمثالين وجد تمثال آخر من الذهب، وليس به شئ مشابه للتمثالين الآخرين. وليس له شكل محدد، لكنه يحمل ملامح الآلهة الأخرى. ويدعى بواسطة السوريين أنفسهم بالعلامة، حيث لم يألفوا له أسمًا محددًا، ولم يقولوا شيئًا محددًا عن أصله وشكله.[٢] فالبعض ينسبه إلى

---

(١) من المرجح أن تماثل أتارجاتيس مع الإلهة أثينا جاء عن طريق التأثير الذى أحدثته كلتا الإلهتين علي الإلهة اللات *Allat* إلهة بالميرا؛ أما عن تماثل أتارجاتيس وأفروديتي فقد سبقت الإشارة إليه وتشير الأشعة التي تخرج من رأسها إلى تماثلها مع سيليني، ويأتى تماثلها مع ريا التي من المرجح هنا أنها هي الإلهة كيبيلى الأم الكبرى؛ أما تماثلها مع نيمسيس فهو غير واضح؛ وتشير فلكة المغزل إلي الإلهة أرتميس، فى الوقت الذى يشير فيه الصولجان إلى حكم إلهات القدر. Harmon, L. C. L., op. cit., p. 386-7; № 1

وانظر؛ مجدى صبحى الهوارى، عبادة أتارجاتيس فى روما، مرجع سابق، ص ٢٤.٢٥ و ص ١١١.

(٢) أظهرت عملات هيوابوليس أن هذا الصنم يأخذ شكل الجسم البشرى من المنتصف حتى القدمين وكأنه ملفوف من عدة طبقات، وعلى قمة هذا الصنم تجلس حمامة، وقد ارتبطت الحامة بسميراميس حيث قالت بعض المصادر

ديونيسوس وينسبه البعض الآخر إلى ديوكاليون، وينسبه آخرون إلى سميراميس. حقاً إنه توجد على رأسه حمامة من الذهب ولذلك فإنهم يقولون إن هذا بالفعل علامة تخص سميراميس. وينزل (هذا التمثال) إلى البحر مرتين كل عام لجلب المياه التى تحدثت عنها.

٣٤ . وعند الدخول إلى المعبد نفسه، يوجد على اليسار مباشرة عرش هيليوس (الشمس) ولكن لا يوجد عليه تمثال؛[١] حيث إن صورة هيليوس وصورة سيلينى (القمر) وحدهما لم تكن تُجسَد، وكانوا يعتقدون فى وجود سبب ما لذلك، وقد عرفته إنهم يقولون إنه كان مسموحًا لهم أن يقيموا تماثيلاً للآلهة الأخرى، حيث إن أشكالهم (صورهم) لم تكن معروفة للجميع؛ أما هيليوس وسيلينى فهما مميزان (واضحان) تمامًا ويراهما الجميع. فلأى سبب يتم صنع تماثيل لأشياء ظاهرة فى الهواء للعيان.

٣٥ . وبجانب هذا العرش يوجد تمثال للإله أبولون،[٢] صُنِعَ مغايرًا لما يجب أن يكون، حيث إن الآخرين جميعاً كانوا يؤمنون بالإله أبولون شابًا وكانوا يصورونه غلامًا يافعًا. وهؤلاء {السوريون}

إن سميراميس قد تحولت إلى حمامة، ومن المرجح أن هذا هو الدافع الذى جعل لوكيانوس يقوم بالربط بين هذه الحمامة وبين قول البعض بأن هذه العلامة تخص سميراميس.

Strong and Garstang, op. cit, p. 73, № 45.
Cf., Diod. Sic. II, 4. 2- 6; Ovid., Metam., 4, 44-8.

(١) توضح الفقرة أن السوريين كانوا يعتقدون بعدم وجود ضرورة تحتم تجسيد الظواهر شديدة الوضوح بالنسبة إلى جميع البشر مثل الشمس والقمر، ويذكرنا عدم وجود تماثيل ومعابد لهما هنا بعبادة الإله المصرى رع الذى عُبِدَ فى أماكن كثيرة فى مصر منذ أقدم العصور وكانت هيليوبوليس المقر الرئيس لعبادته، وكان الإله رع يمثل الشمس نفسها وبما أن الشمس حقيقة واضحة فإنها لا تحتاج إلي رمز، وقد حققت عبادة آلهة الشمس نجاحاً باهراً عند مختلف الأمم.
انظر؛ جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: سيد توفيق، مكتبة الأسرة، القاهرة (٢٠٠١)، ص ١٧٠.١٧١.

(٢) من المرجح أن لوكيانوس في هذه الفقرة يصف إلها محليا، رأى لوكيانوس أنه يماثل الإله أبوللون، ومن المحتمل أن يكون هذا التمثال يخص المذبح الذى وجد بجواره ويذكر هارمون *Harmon* أن هذا الإله هو الإله نبو *Nebo* حيث شيد له حدد . نيرارى ابن سميراميس تمثالاً يصوره ملتحيا ويتدثر بالملابس؛ وقد نال نبو تبجيل سميراميس وكذلك الحال أيام أنتيوخوس سوتير الذى أعاد بناء معبده فى بورسيبا عام ٢٦٨ق.م؛ وقد ظلت عبادته موجودة فى أيديسا قرب هيرابوليس حتى مقدم المسيحية.

وحدهم كانوا يجعلون تمثال أبولون ملتحيًا. وكانوا يثنون علي أنفسهم بسبب أفعالهم هذه، ويلومون اليونانيين وغيرهم ممن يصورون أو يعبدون أبولون على صورة الطفل. وهذا هو السبب، حيث يبدو لهم أن إقامة تماثيل الآلهة {على صورة} غير كاملة يعد حماقة كبرى، وكانوا يعتقدون أن الطفل (الغلام) لم يكتمل بعد. وكانوا يصنعون شيئًا جديدًا آخر فيما يخص تصويرهم للإله أبولون، حيث كانوا وحدهم يكسونه بالملابس (يصورونه مكسوًا).

٣٦ . ومن الممكن أن أقول الكثير عن أعماله (أبولون)، ولكننى سأروى ما يستحق أعظم إعجاب، وبداية سوف أتحدث عن النبوءة.[١] هناك مفسرون للنبوءة كثيرون عند اليونانيين، وكهنة

وقدم ماكروبيوس (٤٠٠م) وصفاً لتمثال أبوللون الذى اعتبره السوريون إله للشمس ويشبه الوصف الذى قدمه لوكيانوس مضيفا إليه إرتداء الإله تاجاً فوق رأسه يشبه السلة ودرعا يحمى صدره ويمسك رمحاً فى يده اليمنى وزهرة فى يده اليسرى ويتشح بوشاح على كتفيه (Macrob., Sat. I, 27, 66-67)؛ وتعد الزهرة التى يحملها الإله فى يده عنصرا شرقيا، وتربط بينه وبين إلهات الخصب والنماء فى الشرق.

ومن المرجح أن قيام لوكيانوس ومن بعده ماكروبيوس بإطلاق اسم أبوللون على هذا الإله المحلى يرجع بدرجة كبيرة إلى وجود عنصر سورى . حيثى في عبادة الإله أبوللون إضافة إلى العنصرين الآخرين ألا وهما العنصر الدورى، والعنصر الكريتى . المينوئى ـ وقد نقل العنصر السورى الحيثى إلي عبادة أبوللون فكرة العرافة، وفكرة التطهر وكذلك فكرة تقديس اليوم السابع من الشهر. كما أن أبوللون قد نقل عن الإله الكنعانى رشف كونه يتسلح بالقوس والسهام بوصفه إلها للوباء (الكارثة) وقد استلهم أبوللون هذه الخصائص من الإله رشف الذى كان يمثل الإله الأسمى للفينيقيين فى قبرص وطوبق عندهم بأبوللون.

Strong and Garstang, op. cit., pp. 74-75, № 47;
Harman , L.C.L.: De Dea Syria , pp. 390 - 391, № 2;
M. L. West, The East Face of Helicon, Oxford. (1997), p. 35;
Burkert , Greek Religion, Cambridge. (1985), pp. 177-145;

مجدى صبحى الهوارى، عبادة أتارجاتيس . . . ، مرجع سابق، ص ٦٨.

كما أن احتفالات وأعياد الإله أبوللون تحمل ملامح شرقية، فقد كانت احتفالات ديلفى المعروفة باسم Θεοφανια تقام أيام الربيع احتفالاً بعودة الشمس، وهو الوقت الذى كانت تحدث فيه الاحتفالات الكبرى فى عبادة أتارجاتيس بهيرابوليس (Lucian., De Dea Syria, 49) ؛ كما أن ارتباط الاحتفالات التى كانت تقام في أثينا والمعروفة باسم Παυνεψια بالحصاد، يربط بينها وبين عبادات الأم الكبرى إلهات الخصب والنماء.

Strong and Garstang, op. cit., pp. 74-75, № 47.

(١) تعددت مراكز العرافة فى العالم القديم، فى الشرق والغرب حيث كان الإنسان القديم فى حاجة إلى قوة خفية تهدأ من قلقه وترشده إلى المستقبل، ولكن نبوءة ديلفي مركز عبادة أبوللون في بلاد اليونان، لعبت دوراً بارزاً في الحياة

السياسية والدينية؛ وقد كان على الإله أبوللون أن يتواجد دائما في جميع مراكز النبوءة التابعة له وذلك كى يرضى كل ذوى المشاكل الذين كانوا يطلبون النبوءات، وذلك طبقا لما ورد عند الكاتب الساخر لوكيانوس (Lucianus, Bis Accusatus I)، وكانت نبوءة ديلفى يتم إعلانها على يد كاهنة تعرف بالبيثية Pythia وكانت امرأة عجوز تتجاوز الخمسين من عمرها. انظر؛ محمد حسن وهبة، نبوءات مركز عرافة دلفى وأسباب غموضها، القاهرة ٢٠٠٥ ، ص١ وص٦. وعن نبوءة دلفى بوجه عام، انظر: المرجع نفسه.

وعند المصريين كانت المعابد التى تقام في الصحراء تعتبر حافلة بالأسرار، وعلى هذا تمكنت هذه المعابد من الاستفادة من الاعتقاد في التنبوء بالغيب وبوجه خاص في العصور المتأخرة، وكان معبد آمون فى سيوة يتمتع بهذه الخاصية، وقد كان الاعتقاد فى صدق وحى الإله آمون هناك أمراً شائعا بين اليونانيين فى برقة بليبيا، على بعد مسيرة عدة أيام من سيوة، وغيرها من بلدان المتوسط التى وصلت إليها شهرة معبد أمون سيوة، وحيث كان الناس يقصدونه لاستشارته من آسيا الصغرى ومن بلاد اليونان ومن قرطاجة .

وعندما جاء الإسكندر الأكبر إلى مصر، وكان على دراية تامة بمنزلة آمون العالية عند كل من المصريين واليونانيين، ذهب إلى معبد زيوس آمون فى سيوة عام ٣٣٢ ق.م.، لا ليستشير نبوءة الإله فقط وإنما أيضا كى يحصل على شرعية حكم مصر ويحصل أيضا على وعد من الكاهن الأكبر بسيادة العالم أجمع بوصفه إبناً للإله أمون، وقد صور الإله آمون على عملات برقة متطابقا مع زيوس. انظر؛ أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، مرجع سابق، ص ص ٣٩٠.٣٩٠ق.م؛ قارن: (Diod. Sic., XVII, 50-51)

وقد إنتقلت خصائص الإله المحلى أبو للون الذى يصفه لوكيانوس في هيليوبوليس بعلبك إلى الإله جوبيتر إله هيليوبوليس، حيث كانت النبوءة عنده تقدم بطريقة مماثلة. Harmon, L.C.L.,.op. cit., p. 392; № 1.

وقد استمد الإله جوبتر إليه هيليوبوليس بعلبك فى سوريا عبادته من مصر من مدينة هيليوبوليس المصرية التى استمدت منها المدينة السورية اسمها أيضا فى العصر البطلمى، وأصبح الإله جوبيتر يمثل إلها للشمس، وقد صور واقفا يمسك فى يده اليمنى بالسوط ويمسك الصاعقة وقرن الوفرة في يده اليسرى إشارة إلى قدرات إله الشمس السماوية، وقد مورست العرافة فى معبده هناك ليصبح مماثلا للإله أبوللون إله الشمس، وقد قام الإمبراطور تراجانوس بإستشارته عندما كان فى طريقه إلى بارثيا، حيث كانت تقدم النبوءة بنفس طريقة نبوءة أبوللون في هيرابوليس.

وقد آمن الجميع بالقوى الكامنة في الشمس ومن هنا فإن سورى هيرابوليس منحوا إله الشمس اسم حدد (أحد أحد)، وآمنوا أنه الإله الأسمى والأعلى وقرنوه بإلهة للأرض أسموها أدارجاتيس (أتارجاتيس) ولهما معا الغلبة والسيطرة على كل شئ، وأجلسوا أتارجاتيس على عرش يدعم بالأسود مثلما كان الحال بالنسبة إلى الإلهة الفريجية كيبيلى (أم الألهة). Cf. Macrobius, Saturnalia I, XXIII, 13 sqq.

كثيرون عند المصريين وكهنة فى ليبيا وكثيرون فى آسيا. لكن نبوءات (أبولون) هذه لا يتم إعلانها على يد الكهنة ولا بواسطة المفسرين، ولكن كان (الإله) نفسه يتحرك ويقوم بإعلان نبوءته بنفسه. وكانت طريقته في ذلك كالآتى:

عندما يكون راغبا فى أن يقوم بالنبوءة يتحرك أولاً فى عرشه وفي الحال يحمله الكهنة ولكن إذا لم يحملوه فإنه يكد (يجتهد) ويتحرك إلى أكبر مسافة ممكنة. وعندما كانوا يغوصون تحته وهم يحملونه فإنه كان يدفعهم للدوران وهو يقفز من أحدهم إلى الآخر. وفى النهاية يتقدم الكاهن الأكبر ويستفسر منه عن جميع الأمور؛ وإذا كان الإله لا يرغب في حدوث أمرٍ ما فإنه يتراجع للخلف، أما إذا كان موافقا على أمرٍ ما فإنه يدفع من يحملونه إلى الأمام كما لو كان يقودهم. وهكذا كانوا يحصلون على النبوءات، وقد كانوا لا يباشرون أمورًا دينية أو دنيوية بدون أن يقوموا بهذا العمل. إن (أبولون) يتحدث عن السنة وعن فصولها جميعًا، مع أنهم لم يسألوه. إنه يتحدث أيضاً عن "العلامة"، عندما يجب عليه أن يشرع فى التنبوء.

٣٧ . إننى سوف أتحدث عن {أعجوبة} أخرى فعلها أثناء وجودى. فقد كان الكهنة يحملونه، وبينما كانوا يرفعونه عاليًا فإنه تركهم أسفل على الأرض وطار وحده عاليًا فى الهواء.

٣٨ . ويوجد بجانب تمثال أبولون تمثال لأطلس وبجانبه تمثال لهيرميس وتمثال للربة إيليثيا.[١]

٣٩ . والآن فإنه قد تم تصنيف جميع {التماثيل} الموجودة داخل المعبد؛ لكن خارجه كان يوجد مذبح ضخم من النحاس، ووجد بجانبه تماثيل نحاسية لا حصر لها للملوك والكهنة؛ وسوف أحكى عن أكثر ما يستحق منها أن يذكر. ففى الجانب الأيسر من المعبد أقيم

(١) يفترض هارمون أن الآلهة أطلس وهيرميس وإيليثويا (لوكينا *Lucina*) تقدم صورة لثالوث سامى مقدس تحت أسماء جديدة حيث يفترض أن أطلاس يقابل هادرانيس *Hadaranes* ، وهو إله عبد في سوريا، أما الإله هيرميس فهو يمثل الإله نبو، حيث كان ميركورى هو كوكب الإله نبو، أما إيليثويا فهي الإلهة ميليتا حيث كانت كلتاهما تقدم المساعدة في عملية ولادة الوليد. Harmon, op. cit., pp. 392; № 2.

تمثال لسميراميس يشير إلى المعبد بيده اليمنى، وتمت إقامته لها بناءً على السبب الآتى: حيث إنها كانت قد أصدرت أمرًا لكل أولئك البشر الذين يسكنون سوريا بأن عليهم أن يبجلوها بوصفها إلهة لهم،[١] وألا يبجلوا الآلهة الأخرى، وحتى هيرا نفسها، وهذا ما فعلوا. لكن (سميراميس) بعد أن أصابتها الأمراض والكوارث والألم من لدن الآلهة، توقفت عن مثل هذه الحماقة، وأخبرتهم بأنها من البشر وأمرت من أطاعوها بأن يتحولوا منها (من عبادتها) إلى {عبادة} هيرا. ولهذا السبب فإنها (سيراميس) لا تزال تقف على هذا الشكل وهى تلفت نظر جميع القادمين أن عليهم أن يبجلوا هيرا وتعلن أيضًا أنها ليست إلهة لكن تلك (هيرا) هى الإلهة.

٤٠ . ورأيت أيضاً فى ذلك المكان تماثيلاً لهيلين[٢] وهيكابى[١] وأندروماخى[٢] وباريس.[٣]

(١) عبدت سميراميس بالفعل في كارشميش *Carshmish* شمالى هيرابوليس.
Harmon, op. cit, p. 395, № 1

(٢) هيلينى Ελενη : أنجبها زيوس من ليدا ابنة ثيستيوس *Thestius* ملك أيتوليا، وكانت ليدا قد تزوجت من تنداريوس ملك اسبرطة، ولكن زيوس كان مغرما بها، فانتهز فرصة فرارها من نسر يهاجمها وحول نفسه إلى طائر الأوز العراقى وألقى نفسه في أحضانها كي يحميها واتصل بها وبعدها وضعت ليدا بيضة ولدت منها هيلينى.
Cf. Euripides, Helen, 16 -21, 257-59.
وفى رواية أخرى ولدت هيلينى من البيضة التى وضعتها نيمسيس بعد أن عاشرها زيوس عندما حولت نفسها إلى طائر الإوز بعد أن حول زيوس نفسه إلى الطائر نفسه لتضع بيضة تخرج منها هيلينى.
Pausanias I, 33, 3; Homer's Cypria, quoted by Athenaeus, p. 334 b; Apollodorus, III, 10, 7.
وعندما بلغت هيلينى مبلغ النساء توافد أمراء اليونان إلى قصر أبيها تنداريوس حاملين هدايا ثمينة يطلب كل منهم يدها لنفسه، مما أوقع تنداريوس في حيرة من أمره ولكن أوديسيوس أنقذه منها شريطة أن يقدم تنداريوس مساعدته له كي يتزوج من بنيلوبي، وكان الرأى أن يقسم جميع الخطاب على حماية هيلينى وأختيارها، وتزوجت هيلينى من مينيلاوس الذى أصبح ملكا لإسبرطة بعد وفاة تينداريوس وبعد أن تم تأليه أخويها الديوسكورى. وكان تينداريوس قد

تجاهل أفروديتى ذات مرة عندما كان يقدم القرابين للآلهة، وعندها أقسمت أفروديتى أن تجعل من بناته الثلاث (كلوتايمنسترا . تيماندرا . هيلييني) شهيرات في عالم البغاء (الزنا).

(١) هيكابى زوجة برياموس ملك طروادة وأم هيكتور وباريس وبولوكسينا وكاساندرا وغيرهم من الأبناء، وكان فقدان إبنها هيكتور والعديد من أخوانه في الحرب الطروادية يمثل بالنسبة إليها فقدان كل شئ وأصبحت من نصيب أوديسيوس بعد سقوط طروادة .

(٢) ابنة إيتيون ملك قيليقيا (كليكيا) من مدينة طيبة كانت زوجة البطل الطروادى هيكتور وأم أستياناكس *Astyanax*، وقد قام أخيليوس بقتل كل من والد اندروماخى وأخيها وذلك عندما استولى على طيبة أثناء الحرب الطروادية. وبعد أن قتل أخيليوس زوجها فى حرب طروادة وانتصر اليونانيون أصبحت أندروماخى أمة ومحظية لابنه نيوبتوليموس *Neoptolemus*، وبعد انتهاء الحرب ذهبت أندروماخى إلى بلاد اليونان مع سيدها نيوبتوليموس العائد إلى وطنه وأنجبت له ابنه مولوسوس *Molossus* ، وبعد موت نيوبتوليموس تزوجت أندروماخى من هيلينوس أحد أبناء برياموس ملك طروادة الذين ظلوا على قيد الحياة، وأصبح هيلينوس ملك أقليم أبيروس *Epirus* اليونانى.

(٣) باريس Παρις: هو ابن برياموس من هيكابى التى كانت قد أنجبت لبرياموس العديد من الأبناء كان هيكتور الابن الأكبر ومنهم كاساندرا وكريوسا وبوليكسينا وغيرهم. وكانت هيكابى قد رأت حلما بأنها جلبت إلى طروادة عصبة من الأفاعى كانت سببا فى اشتعال طروادة وتخومها، وقال العراف أن ولداً سوف يولد للتو سوف يكون سببا فى دمار المدينة وطلب من الملك إلقاءه بعيدا وفي الصباح أنجبت كيلا أخت برياموس ولدا فقتلها برياموس هي ووليدها وفى المساء أنجبت هيكابى ولدها وطالبت النبوءة بقتله إلا أن الأم لم توافق فما كان من برياموس إلا أن أمر راعى أغنامه أن يلقى به فى الأدغال ليلقى حتفه فأخذه الراعى وتركه فوق قمة جبل إيدا، إلا أنه عند عودة الراعى إلى المكان بعد بضعة أيام وجد الطفل لازال حيا ففطن إلى أن هذه هي إرادة الآلهة، فأخذه على بيته إلى زوجته كى ترعاه بجانب وليدها.

نشأ باريس بين الرعاة إلى أن صار شابا يافعا وقعت أوينونى حورية الينابيع في حبه، إلى أن شاء كبير الإلهة أن يكون حكما يفصل فى النزاع الذى نشأ بين الإلهات الثلاث (هيرا . أثينا . أفروديتى) بشأن التفاحة الذهبية.

أثناء حفل زواج بيليوس من الحورية ثيتيس الذى كان يرعاه زيوس بحضور جميع الألهة والإلهات، سوى إلهة الشقاق إيريس، قامت إلهة الشقاق بإلقاء التفاحة الذهبية على الحفل لتسقط حيث جلست هيرا وأثينا وأفروديتى، وقد كتب على التفاحة إلى الأكثر جمالا، وحيث رأت كل منهم أنها الأجدر بالتفاحة، أمر زيوس بأن يقوم هيرميس بأخذ الإلهات الثلاث إلى قمة جبل إيدا ليحكم في الأمر أول فرد من البشر يقابلنه وكان هذا الشخص هو باريس، فطلب منه هيرميس أن يفصل في الأمر بناء على رغبة كبير الآلهة زيوس، وتسلم باريس التفاحة وقدمت كل إلهة إلى باريس وعدا مغريا إن هو حكم لصالحها، فالإلهة هيرا إبنة كرونوس وريا وإلهة الأرض قطعت على نفسها عهدا أن تجعل باريس ملكا متوجا وحاكما مسيطرا على كل أسيا، وستجعله أكثر أهل الأرض ثراء، أما الإلهة أثينا إلهة

وهيكتور وأخيليوس.[١]

الحكمة والعقل فقطعت على نفسها عهدا إن هو حكم لصالحها فسوف تجلب له النصر على الدولة بعد أن تبث في نفسه روح الشجاعة وتلقى الرعب في قلوب أعدائه، أما أفروديتى إلهة الحب والجمال فقد وعدته بأن تزوجه من أجمل نساء الأرض المرأة التى تشبهها هي نفسها، فما كان من باريس، مفتونا بجمال أفروديتى، إلا أن منحهما التفاحة، فغضبت الإلهتان الآخريتان وقررتا عدم مساندته أبدا بل وتدمير طروادة .

وكى تفى أفروديتى بوعدها لباريس دفعته إلى زيارة بلاد اليونان حيث حل ضيفا على مينيلاووس ملك أسبرطة وشقيق أجامنون ملك موكيناى وفى بيت مينيلاووس التقى باريس بالمرأة التى وعدته أفروديتى إياها، التقى هيلينى التى قيل أن الحب ربط بينهما لدرجة أنها تركت إبنتها وبيت زوجها ومملكتها وهربت مع باريس إلى طروادة، وفى رواية أخرى قيل أنها أُرغِمَت على الذهاب معه حيث نزل باريس بمصر وعرف أهلها (أهل مصر) من خدم باريس بالقصة فأمروه بأن يترك كل ما نهبه من كنوز من قصر مضيفه مينلاوس ومعها هيلينى إلى أن يحضر مينيلاوس لاستردادها.

وبعد رحيل هيلينى مع باريس إلى طروادة كان على الأمراء اليونانيين أن يبروا بقسمهم الذى قطعوه على أنفسهم ويدافعون عن كرامة مينيلاوس زوج هيلينى ويستردون زوجته من مختطفها، فأجمع القادة أمرهم بينهم وولوا أجاممنون قيادتهم وهموا بالتوجه إلى طروادة لمعاقبة أهلها واسترداد فاتنتهم هيلينى، ولكن الأمر لم يكن هينا أمام أسوار طروادة الحصينة فاستمرت الحرب بين كر وفر عشر سنوات إلى أن كان النصر حليف اليونانيين فى النهاية، وجدير بالذكر أن قصة هيلينى وباريس ارتبطت بكثير من الأعمال الأدبية اليونانية الخالدة وأكثرها أهمية ملحمتى هوميروس الخالدتين، الإلياذة التى تصور أحداث حرب طروادة والأوديسيا التى تصور رحلة عودة أويسيوس إلى وطنه التى استمرت عشر سنوات قضى معظمها هائما فى البحر.

(١) هو ابن بيليوس من الحورية ثيتيس، فبعد زواجها من بيليوس كان كل ابن ينجب لهما يموت، حيث مات لهما ستة أبناء، وعندما ولدت الحورية ثيتيس ابنها السابع أسرعت به إلى العالم السفلى وأمسكته من كعبه وغمسته في مياه نهر ستوكوس، نهر الخلود، وبعد ذلك دهنته بالأمبروسيا عطر الآلهة الخالد، وبعدها ألقته فى نار المدفأة كي تمنحه الخلود ولكن بيليوس سارع بانتزاع الطفل من النار، وكان هذا سببا فى فراق بينه وبين ثيتيس حيث حرمها بيليوس من أن يصبح ابنها خالدا لا يموت.

سلم بيليوس ابنه إلى الكنتور الحكيم خيرون لتربيته وبعد أن صار شابا تعلم فنون الصيد ، ونظراً لمهارته الشديدة طلب منه أوديسيوس الاشتراك في حرب طروادة، وكان لأخيليوس صديق حميم لا ينفصل عنه أبدا، اسمه باتروكلوس، لذلك شارك معه في حرب طروادة، وفي بداية الحملة اليونانية سقطت لسبوس وكلوفون وسميرنا وغيرهم من المدن الحليفة لطروادة على يد البطل أخيليوس، واستمر القتال حول طروادة حتى بلغ عامه العاشر دون أن يستطيع اليونانيون اقتحام أسوار المدينة، وفى هذه الأثناء وقع أخيليوس فى غرام بولكسينا ابنة بريامو‌س التى جاءت مع أمها هيكابى لتقديم القرابين إلى الإله أبوللون، وكان أخيليوس قد جاء إلى المعبد فجأة فرأى بولكسينا وأحبها

ورأيت تمثالا لنيريوس[١] بن أجلائيس و (رأيت) فيلوميلى وبروكنى، وهن لازلن نساءً، (ورأيت) تيريوس[١] نفسه الذى كان على هيئة عصفور (طائر)، و(رأيت) تمثالاً آخر لسميراميس وتمثال

لدرجة أنه أرسل إلى أخيها هيكتور طالبا الزواج الذى لم يتم نظرا لأن هيكتور أشترط أن يقف أخيليوس في جانب الطرواديين ويسلمهم معسكر اليونانيين.

استأنف القتال بين الطرفين بين كر وفر، وبعد إصابة أخيليوس وانسحابه من القتال نتيجة خلاف مع أجاممنون على الفتاة بيرسيس سبية الحرب التى كانت من نصيب أخيليوس والتى راقت لأجاممنون بعد تسليمه لسببيته خروسيس ابنة كاهن معبد الإله أبوللون لأبيها، ولكن أخيليوس كان قد طلب من باتروكلوس بعد أن رأى اليونانيين يتقهقرون أن يقود قبائل المورميدنيين بدلا منه وبالفعل قدم باتروكلوس بطولات كبيرة، إلا أن تدخل الإله أبوللون في القتال لصالح الطرواديين مكن هيكتور من قتل باتروكلوس وجر جثته حول المعسكر وعندما وصلت الأنباء السيئة إلى أخيليوس حزن حزنا شديدا لمقتل صديقه، وخرج ثائرا يصول ويجول في ميدان القتال، واستطاع قتل هيكتور وربط جثته في عجلته ودار بها حول قبر صديقه باتروكلوس ثلاث مرات واسترد برياموس جثة أبنه هيكتور، وواصل أخيليوس انتصاراته على الطرواديين وكانت هذه الانتصارات تزيده صلفا وغرورا مما وقع الإله أبوللون أن يوجه سهام باريس إلى كعب أخيليوس ذلك الجزء من جسده الذى لم تغمره مياه نهر ستوكوس وكان السبب فى وفاة البطل اليونانى أخيليوس.

(١) نيريوس وفوركيس وثاوماس وإيوروبيا وكتيو، جميعهم أطفال ولدوا لبونتوس (البحر) من الأم الأرض، وبهذا كان نيريوس إله قديم للبحر، وهو والد النيريديات وهن ربات ارتبطن بالفكر الشعبى للمجتمع اليونانى، حيث تصور الناس أنهن يعشن في المياه (أنهار . ينابيع . بحار) ويعشن على الجبال والأشجار في مختلف الأماكن مثل الأقاليم والمدن والولايات، ويروى أن نيريوس كان يعيش مع النيريديات فى أعماق البحار.

(Homer., Il. I, 358; Hesiod., Theog., 233- 6)

وبوجه خاص فى بحر إيجه (Apoll. Rhod., Argon., 4. 771-2.).

وقد مجد كل من هيسيودوس وبنداروس صلاح نيريوس واستقامته ، حيث كان نيريوس مثله مثل الأولين من رجال البحر لديه حكمة بالغة لدرجة مكنته من القدرة على التنبؤ ولذلك وجدنا هيراكليس يطلب مساعدته كي يدله على مكان تفاحات الهيبيريديس الذهبيات، وتصوره أعمال القرن السادس ق.م. الفنية أنه رجل له ذيل سمكة، وهناك تصوير له على مزهريات منتصف القرن السادس ق.م على هيئة رجل ذى جسد يشري كامل ويمسك فى يده سمكة، وقد قام نيريوس برعاية حفل زواج بيليوس وحورية البحر ثيتيس.

قارن: عبد المعطى شعراوى، أساطير أغريقية، الجزء الأول، مرجع سابق، ص٤٢٢.

Graves, Greek Myths I, op. cit., pp. 145-146.

كومبابوس الذى تحدثت عنه وتمثالاً جميلاً جدًا لاستراتونيكى وتمثالاً مماثلاً على نفس النمط للإسكندر.[٢] وأقيم بجانبه (تمثالاً) لـ ساردانابالوس[٣] فى شكل آخر ومظهر مغاير (رداء مختلف).

---

(١) فيلوميلا . بروكنى . تيريوس: كانت فيلوميلا وبروكنى إبنتان لملك أثينا باندیون بالإضافة إلى ولديه بوتيس وإريختيوس، وقام باندیون بتزويج ابنته بروكنى إلى تيريوس ملك تراقيا بعدما ناصره في حربه ضد البرابرة القادمين من البحر، وكان تيريوس قد انتصر على الأعداء وأطمأن له باندیون ملك أثينا وإلى ثرائه الواسع فزوجه ابنته بروكنى التى أنجبت منه إبنا كان يسمى إتيوس؛ وعندما طلبت منه إما أن تذهب لترى أختها أو أن يأتى بها إليها، رحل إلى أثينا واستطاع إقناع الملك بترك ابنته الثانية له لتقوم بزيارة أختها، ولكن تيريوس كان قد فتن بفيلوميلا عندما رآها في قصر أبيها، فلم يرفع عينيه عنها طوال رحلتهما البحرية، متمنياً أن يطارحها الهوى، إلى أن وصل أرض تراقيا، وبدلا من أن يأخذها إلى القصر حيث أختها الملكة، حبسها فى كوخ صغير وسط غابة ضخمة تحيط به أسوار عالية وواقعها دون إرادتها، وقام بقطع لسانها بعد أن أخبرته أنها سوف تروى ما حدث لها على يديه، وتركها فى الكوخ تحت حراسة مشددة وعاد إلى القصر واختلق لبروكنى قصة فحواها أن أختها قد لقيت حتفها ولكن شاءت الأقدار أن تتمكن فيلوميلا من نسج قطعة من القماش تصور مأساتها وأرسلتها إلى أختها بروكنى التى قامت على الفور وفى خضم احتفالات باكخوس الصاخبة بالخروج من القصر وتحرير فيلوميلا من محبسها، والعودة بها إلى القصر، حيث أقدما على الانتقام من تيريوس بقتل ابنه وتقديمه طعاما له دون أن يدرى بذلك، وبعد أن عرف بما حدث من بروكنى وأختها، طاردهما ولكن شاءت الآلهة أن يتحول الثلاثة إلى طيور، حيث تحول تيريوس إلى طائر الهدهد (الذى ظل يسأل عن ابنه أين ؟ أين؟) وتحولت بروكنى إلى طائر السنونو أما فيلوميلا فقد تحولت إلى العندليب الذى إنسحب راجعا إلى أثينا حيث ظلت تندب إتيوس الذى كانت مأساتها سببا فى موته. Graves, Greek Myths, Vol. I, pp. 165-68; Cf; Ovid., Metam., VI, 424-674.

(٢) الإسكندر (٢٠يوليو ٣٥٦-١٠يونيو ٣٢٣ ق.م): كان ملكا لمقدونيا وكان الإسكندر واحدا من أعظم القادة العسكريين في التاريخ ، فلم يهزم في معركة خاضها، وعند موته كان قد قام بغزو معظم أجزاء العالم المعروف بالنسبة إلى اليونانيين القدماء، حيث قام بغزو الإمبراطورية الفارسية التى كانت تتضمن بلاد الأناضول وسوريا وفينيقيا ومصر.

(٣) ساردانابالوس Sardanabalus: كان ساردانابالوس آخر ملك آشورى أي أنه يتطابق مع الملك الأشورى آشوربانيبال، وقد كتب خويريلوس، الكاتب اليونانى، كلمة قصيرة تخليدا لذاكراه يقال إنها كانت منقولة من الكلدانية، وقد وردت عند أثينايوس وصوره كتيسياس شخص مخنث، وقد توفى آشور بانيبال عام ٦٢٧ق.م وقد اشتهرت آشور فى عهده بالثقافة والفنون، فضلا عن شهرتها العسكرية، حيث أنشأ أول مكتبة جامعة فى نينوى جمعت كل الأدب المسمارى القديم، المتوفر فى ذلك الوقت.

٤١ . وفى الفناء (فناء المعبد) ثيران كبيرة ترعى وجياد ونسور ودببة وأسود، وهى طليقة لا تؤذى البشر أبداً، فجميعها مقدسة[١] ومروضة.

٤٢ . أما الكهنة فالكثير منهم له مهنتة، فمنهم من يقوم بذبح الأضاحى ومنهم من يتولى {أمر} الإراقة، وآخرون يسمون بحملة المشاعل، وآخرون يسمون بخدام المذبح، وبحضورى كان هناك أكثر من ثلاثمائة {كاهن} يشاركون فى التضحية. وكانوا جميعًا يرتدون ملابس بيضاء ويضع كل واحد منهم علي رأسه قبعة من اللباد. وفى كل عام يعين كاهن أكبر جديد، كان وحده يرتدى رداءًا أرجوانيًا ويتوج بتاج ذهبى.[٢]

٤٣ . ويوجد أيضًا حشد آخر من الرجال المقدسين ومن لاعبى الفلوت ومن عازفى المزمار[٣] ومن الكهنة الجاللى (الخصيان) ومن النساء المختلات والمخبولات (شديدى الهياج).

٤٤ . ويقدم طقس الأضحية مرتين كل يوم ويحضر الجميع ذلك (الطقس). وكانوا يضحون للإله زيوس في هدوء، فلم يكونوا يغنون ولا يعزفون على الفلوت؛ ولكن عندما كانوا يقدمون الأضحية إلى

---

(١) يذكر هارمون أن الحيوانات المقدسة كانت ملمحا شائعا فى أرباض المعابد فى بلاد اليونان، وأن أفلاطون قد أدخل الثيران فى مدينته الفاضلة أطلانطا (cf. Plato, Critias, 119D). انظر:
Harmon, op. cit., p. 396.

(٢) من الواضح وجود زى مميز لرجال الدين على مر العصور، وقديما كان الحيثيون يميزون الكهنة عن الآلهة وعن الناس فى تصويراتهم الفنية بواسطة الملابس، حيث كان الكهنة يرتدون قبعة مخروطية طويلة، أما فى هيرابوليس فكانوا يميزون الكاهن الأكبر عن بقية الكهنة المميزين بدورهم بأرديتهم عن بقية البشر بلون رداءه وتاجه الذهبى.

(٣) يضرب موسيقيو هيرابوليس بجذورهم إلى نظرائهم الحيثيين حيث صورت منحوتات سينجرلى ثلاثة موسيقيين يحملون الطبلة ومزمار القربة والجيتار. Strong and Garstang, op. cit., p. 79; № 52 بخصوص الأعداد الكبيرة من المتعبدين الذين كانوا يرتادون المعابد قديما، انظر: Strabo, XII,11, 3، حيث يذكر أن حشدا كبيرا من المتعبدين والخدام بلغ حوالى ٦٠٠٠ فرد فى معبد كومانا بكابادوكيا.

الإلهة هيرا كانوا يغنون ويعزفون على الفلوت؛ ويطرقون على الصنج، ولم يتمكنوا من أن يخبرونى بشئ عن هذا (الطقس).[١]

٤٥ . ويوجد أيضًا في نفس الموقع بحيرة لا تبعد عن المعبد كثيراً، كانت تربى فيها أسماك مقدسة[٢] كثيرة ومتنوعة. وكان البعض منها يصبح ضخماً جداً، وكانت له أسماء كان يأتى عندما ينادونه بها؛ وعندما كنت هناك كان واحد منهم مزين بالذهب. حيث تم تثبيت حلى من الذهب فى ذيله. ولقد رأيته مرات عديدة وفى ذيله هذا الشئ {الذهبى}.

٤٦ . وكان عمق البحيرة كبيراً وإنى لم أسبر غوره، لكنهم يقولون أنه يبلغ أكثر من مائتى أورجيا، وأقيم فى وسطها مذبح من الحجر يخيل إليك عند رؤيته لأول مرة (فجأة) أنه يطفو وأنه محمول فى الماء، وهذا ما يؤمن به الكثيرون؛ ويبدو لى أن هناك عمود كبير يحمل المذبح من أسفل، وكان (المذبح) يتوج دائمًا بالأكاليل ويوضع عليه البخور. وكان الكثيرون يحملون الأكاليل كل يوم ويقومون بالسباحة إليه وفاءاً بالنذر.

٤٧ . وكانت تحدث اجتماعات (احتفالات) ضخمة في ذلك المكان (عند البحيرة) وتسمى النزول إلى البحيرة، لأن جميع المقدسات الإلهية كانت تنزل أثناءها إلى البحيرة. وكانت هيرا أول من يصل منهم {إلى البحيرة}، بسبب السمك،[٣] الذى يجب ألا يكون زيوس أول من يراه، حيث سيهلك جميعه

---

(١) تشير الفقرة إلى اقتران عبادة الإلهة أتارجاتيس بعبادة الإله حدد فى هيرابوليس ومن المرجح أن هذا يشير إلى عبادة الإلهة الأم ومحبوبها المقدس أى إلى الشخصية المزدوجة للعبادة، مثلما كان يحدث بالنسبة إلى إيزيس أوزيريس وأفروديتى وأدونيس وكيبيلى وأتيس. Strong and Garstang, op. cit., p. 80, №. 54.

(٢) كان للسمك دور كبير في ميلاد الإلهة أتارجاتيس معبودة هيرابوليس من البيضة التى سقطت من السماء فى نهر الفرات، حيث دفعها السمك إلى الشاطئ ليرقد عليها الحمام ويقوم بتدفئتها حتى ولدت منها أتارجاتيس.
Cf. Hyginus, fabubae , 197; Ampelius , Liber Memorialis 2,12.
انظر: مجدى صبحى الهوارى، عبادة أتارجاتيس فى روما، مرجع سابق، ص ١٠.١١.

(٣) من المرجح أن حرص هيرا (أتارجاتيس) على النزول إلى البحيرة أولاً ورؤية السمك قبل زيوس (حدد) يرجع إلى كون السمك مقدسا للإلهة نظرا للدور الذى لعبه فى قصة مولدها من البيضة، والتى سبقت الإشارة إليها.

إذا حدث ذلك، كما يقولون، وبالتأكيد كان زيوس يبادر بالمجئ لرؤيته لكنها (هيرا) كانت تبعده، حيث كانت تقف أمامه وتتركه يسلك طريقه بعد أن تؤدى صلوات كثيرة.

٤٨ . إن الاحتفالات الأكثر عجبًا من بين تلك (الاحتفالات) التى يؤمنون بها، هى أن عليهم النزول إلى البحر، وفي الحقيقة ليس عندى ما أقوله عن هذه (الاحتفالات)؛ حيث إننى لم أذهب بنفسى ولم أسأل أحداً عن هذه الرحلة. لكننى رأيت ما يفعلونه عند عودتهم وسأرويه {لكم}، فكانوا جميعًا واحداً واحداً يحملون إناءاً مملوءاً بالماء، وقد ختم كل {إناء} من هذه الآنية بالشمع. ولم يكن مسموحًا لهم فتحها وسكب مياهها، لكن كان هناك ديك مقدس[١] (كاهن ديك) يقيم بجوار البحيرة، وكان يتفقد الأختام عندما يستقبل آنيتهم. وعندما يتلقى الأجر يقوم بعد ذلك مباشرة بحل (بفك) الرباط ونزع الشمع؛ وتتجمع لدى الديك (الكاهن الديك) مبالغ مالية كبيرة من خلال أداء هذا العمل. ومن ثم يدخلون بالمياه إلى المعبد وقومون بسكبها (داخله)، ويعودون إلى بيوتهم بعد أن يكونوا قد قدموا الأضاحى.

٤٩ . وحسبما أعرف فقد كانوا يقيمون أعظم هذه الاحتفالات جميعاً مع بداية فصل الربيع، ويسميها البعض بالمحرقة ويسميها البعض الآخر بالمصباح (الوميض). وفيها كانوا يقومون بتقديم التضحية بالطريقة التالية: كانوا يقومون بتقطيع الأشجار الكبيرة وتثبيتها في الفناء، وبعد ذلك يقومون بإحضار الماعز والأغنام ويقومون بتعليق مختلف الحيوانات حية على الأشجار؛ وبالإضافة إلى ذلك الطيور والملابس والمشغولات الذهبية والفضية. وعندما يؤدون كل شئ إلى النهاية، فإنهم يقومون بإشعال النار فى جميع المتعلقات المقدسة (القرابين) الموضوعة حول الأشجار، وفى الحال يحترق كل شئ. وكان أناس كثيرون من سوريا ومن جميع الأقاليم المجاورة، يحضرون إلى هذا الاحتفال وهم يحملون قرابينهم وتماثيلهم (آلهتهم) التى يحتفظ بها كل منهم والتى صنعت لكى تمثلها فى هذا {الحفل}.

---

(١) بالنسبة إلى Αλκετρυων ιρος فمن المرجح وجود كاهن حمل اسم الديك كان يقوم بفك غطاء الآنية بعد أن يتلقى الهبات من المتعبدين الذين يباشرون هذا الطقس.

Strong and Garstang, op. cit., p. 82, №. 59.

٥٠ . ويجتمع حشد من الناس عند المعبد في أيام محددة وكهنة جاليون (خصيان) كثيرون، والرجال المقدسون الذين تحدثت عنهم، ويقيمون الطقوس العربيدة، حيث يقطعون أعضاءهم ويضربون بعضهم البعض على ظهورهم. ويقوم حاضرون كثيرون منهم باللعب على الفلوت ويضرب بعضهم على الطبلة وينشد آخرون أغانى دينية مقدسة.(١) ويتم هذا العمل خارج المعبد، ولم يدخل أولئك الذين يفعلون ذلك إلى المعبد.

٥١ . وفى هذه الأيام يتم تشكيل الكهنة الجاليين (الخصيان)، حيث إنهم عندما كانوا يعزفون ويؤدون طقوسهم الصاخبة، يدخل الخبل في ذلك الحين إلى كثيرين، وبعد هذا يقوم كثيرون كانوا قَدِموا بغرض المشاهدة {فقط} بأداء نفس الصنيع. وسوف أروى ما يفعلونه، يخرج الشاب من مكانه ويقوم بخلع ملابسه مع صيحة عالية ويندفع إلى المنتصف ويلتقط سيفًا؛ يبدو لى أنه (السيف) بقى لسنوات طويلة هكذا ولهذا الغرض، يقوم (الشاب) بأخذه ويخصى نفسه فى الحال ويجرى عبر المدينة وهو يحمل في يديه الأعضاء التى قطعها. ثم يلقيها فى أى منزل ويتلقى من هذا المنزل، الذى ألقاها فيه عندما أراد، ملابساً نسائية، وهكذا كانوا يفعلون خلال طقوس الخصى.

٥٢ . ولم يكن الكهنة الجاليون يدفنون عند موتهم مع الآخرين فى قبر عام، حيث إنه عند موت كاهن جالي، كان الجاليون الآخرون يقومون بحمله وينقلونه إلى إحدى ضواحي المدينة، ويقومون بوضعه هو والتابوت الذى حملوه فيه ثم يغطونه بالأحجار. وبعد أن يفعلوا هذا يعودون إلى بيوتهم مرة ثانية، ويمكثون فيها سبعة أيام ليس أكثر ويدخلون بعدها المعبد. وإذا دخلوه قبل هذه الأيام (السبع) فإنهم يكونوا قد ارتكبوا إثماً.(٢)

---

(١) كانت هذه الطقوس العربيدة موجودة فى عبادة الإلهة الفريجية كيبيلى ومحبوبها أتيس فى روما.
Strong and Garstang, op. cit., p. 84, № 61.
انظر: فايز يوسف محمد، "دراسة وترجمة لقصيدة أتيس . . . . "، مرجع سابق، ص ص ٣١.٣٥.
وعن طقوس وأعياد الإلهة كيبيلي في روما ؛ انظر : فايز يوسف محمد، عبادة الربة كيبيلى فى روما، مرجع سابق ص ص ١٠٨ وما بعدها.

(٢) فى الوقت الذى كان فيه طقس خصى الشخص لنفسه طقسا مشتركا فى عبادة كل من أتارجانيس وكيبلى، فإن مراسم دفن الكاهن الجالى عند موته التى يتحدث عنها لوكيانوس هنا يبدو أنها تخص عبادة أتارجاتيس وحدها.

٥٣ . وفى هذا {أيضًا} فإنهم يخضعون لتلك القوانين {القائلة} بأن أى شخص من هؤلاء الذين رأوا الجثة، عليه ألا يأتى إلى المعبد في ذلك اليوم، لكنه يدخل فى يوم آخر بعد أن يطهر نفسه، أما بالنسبة للآخرين الذين ينتمون إلى منزل المتوفى فعليهم جميعًا أن ينتظروا لمدة ثلاثين يوما ويدخلون المعبد بعد أن يحلقوا رؤوسهم؛ لكن قبل أن يفعلوا ذلك فإنه محرم عليهم دخوله.

٥٤ . كانوا يضحون بالأبقار الذكور منها (الثيران) والإناث والماعز والأغنام. وكانوا يعتبرون الخنازير وحدها كريهة فلم يضحوا بها ولم يأكلوها،[١] ولم يعتبرها بعضهم كريهة لكن كانوا يعتقدون أنها مقدسة. وتبدو الحمامة بين الطيور هى الطائر الأكثر قدسية لديهم، وكانوا يحكمون على أنفسهم ألا يلمسوه؛ وإذا لمسوه دون قصد منهم يصبحون في ذلك اليوم مدنسين. ولهذا السبب يتواجد الحمام بينهم ويدخل منازلهم ويتغذى على الأرض لمدة طويلة.

٥٥ . وسوف أحكى ما كان يفعله كل فرد من الحجيج، عندما كان يتوجه ذلك الرجل لأول مرة إلى المدينة المقدسة (هيرابوليس)، فإنه يحلق شعر رأسه وحاجبيه، وبعد ذلك يضحى بالأغنام (بالشاة)، ومن ثم يقطعها ويأكل لحمها، أما الفروة (الجزة) فإنه يقوم بوضعها على الأرض ويضع ركبته عليها، ويضع أرجل الحيوان ورأسه فوق رأسه هو نفسه؛ وفي الحال يقوم بالصلاة وهو علي هذه الحال ويطلب أن تقبل أضحيته التى قام بتقديمها ويقدم الوعد {بأضحية} أكبر في المرة القادمة. وبعد أن يُنهى هذا، يتوج رأسه هو بالأكاليل ويضعها (الأكاليل) كذلك على رؤوس الآخرين الذين يسيرون إلى نفس الرحلة {المقدسة}، ثم يرحل من وطنه، ويستخدم الماء البارد للاستحمام وللشرب، وينام دائما على الأرض؛ حيث إنه لن يخلد إلى فراشه قبل أن يتم رحلته المقدسة ويمكنه العودة إلى وطنه مرة ثانية.

٥٦ . وفى المدينة المقدسة يقوم رجل باستقباله وهو مُضَيف لا يعرفه من قبل؛ حيث إنه يوجد لكل مدينة بالفعل مضيفون مخصصون في ذلك المكان، ويستقبلونهم في منازلهم بترحاب ورثوه عن آبائهم، ويسميهم السوريون بالمعلمين، حيث إنهم يقومون بتعليم الحجاج كل شئ.

---

(١) يعد تحريم التضحية بالخنزير تأثرا بعبادة الإله أدونيس والإلهة أفروديتى، فقد كان المتعبدون اليونانيون لا يقدمون الخنزير قربانا للإلهة أفروديتى، وكان هذا الحيوان (الخنزير) يرتبط في الشرق بعملية الإخصاب.
Cf. Farnell, Cults of Greek States, II, Oxford 1896, p. 646.

٥٧ . ولا يقدمون الأضاحى فى المعبد نفسه، لكن عندما يضع الحاج أضحيته نذره على المذبح وبعد أن يسكب الإراقة عليه، يقوده حيًا إلى مسكنه. وعند عودته يضحى ويتلو الصلوات بنفسه.

٥٨ . وتوجد أيضًا طريقة أخرى لهذه الأضحية. فقد كانوا يزينون الأضاحى بالأكاليل ويلقونها من أعلى الشرفة وهى حية، حيث كانت تموت بعد سقوطها على الأرض. وكان بعض الرجال يلقون بأطفالهم[١] من ذلك المكان، ولكن بطريقة مغايرة {لما يحدث} للحيوانات، حيث كانوا يقومون بوضعهم فى أكياس ويدلونهم بأيديهم، وبينما كانوا يفعلون ذلك كانوا يسخرون منهم، حيث يقولون إن هؤلاء ليسوا أطفالاً وإنما هم أبقار.

٥٩ . وكان الحجاج جميعا يضعون وشماً[٢] على أجسادهم، البعض منهم على أيديهم، والبعض الآخر على رقابهم، وبناءً على ذلك كان جميع السوريين يحملون الوسمات (العلامات).

٦٠ . وكانوا يؤدون طقسًا آخر يتوافقون (يشتركون) فيه مع الطروادبين وحدهم من بين اليونانيين. وسوف أروى كيف كانوا يقومون بذلك. أقدم الطروايون على سن قانون للعذراوات والشباب. يقضى بأنهم لن يتزوجوا قبل أن يقوموا بتكريس خصلات شعرهم لهيبوليتوس؛ وهذا ما كانوا يفعلونه.

وقد كان هذا يحدث فى المدينة المقدسة (هيرابوليس). فكان الشباب يقومون بتكريس لحيتهم، وكانوا يسمحون للأطفال (البنات) بترك شعرهم عند ولادتهم، حيث يقطعونه عندما يأتون إلى المعبد ويقومون بوضعه فى آنية بعضها من الفضة وأكثرها من الذهب، وبعد أن يقوموا بتثبيتها في المعبد

---

(١) وجدت التضحية بالأطفال فى عبادة الإله مولوخ الذى تطابق مع كرونوس، كما قيل أيضا أن عبادة هيليوجابالوس في روما تضمنت تقديم الأطفال كقرابين، ومن المحتمل أن تكون التضحية بالأطفال هنا فى معبد أتارجاتيس بهيرابوليس قد وجدت نتيجة تأثير محلى.

Cf. Strong and Garstang , op. cit., p. 88, №. 70.
Harmon, op. cit., p. 408, №. 1.

(٢) كانت عادة وشم الجسد منتشرة بين الأفارقة وقد وجدت وسمات على أجساد بعض النوبيين الذين يعودون إلى عصر الأمبرطورية الوسطى (حوالى ٢٠٠٠ق.م.)، ومن المرجح أن ذلك لم يكن على خليفة دينية، وهنا بالنسبة إلى هيرابوليس يبدو أن الوشم كان يتم عند المعبد وذلك بعد تقديم الأضاحى والقرابين فى نهاية رحلة الحج.

Cf. Strong and Gorstang, op. cit., p. 89, No. 71.

يرحلون بعد ما يقومون بنقش (بكتابة) اسم كل شخص عليها. ولقد قمت بأداء هذا الطقس عندما كنت شاباً، ولا يزال شعرى موجود فى المعبد واسمى {مسجل هناك}.(١)

المراجع:

١ . المراجع الأجنبية:

1 - Boardman John & others, The Oxford History of the Roman world, Oxford and New York. (1991).

2 - Burkert, Greek Religion, Cambridge. (1985).

3 - Farnell, Cults of Greek States, II, Oxford. (1896).

4 - Frazer. J, Adonis, Attis; Osiris: Studies in the History of Oriental Religion Vol. I, London. (1927).

5 - Graillot, Le Culte de Cybele, Paris. (1912).

6 - Graves R., The Greek Myths, Vol. I, Penguin Books, England. (1955), Reprinted (1971).

7 - Harmon, Loeb Classical Library, vol. IV, London. (1925), (De Dea Syria).

8 - James E. O., The Cult of the Mother Goddess, London. (l959).

9 - Michael Grant , History of Rome , London. (1978).

10 - Perdrizet. , "A Propose d' Atargatis", Syria 12 , Paris (1941).

(١) أشار لوكيانوس فى الفقرة ٥٥ إلى أن حلق شعر الرأس هو أول عمل يقوم به الحاج عند وصوله المدينة المقدسة وفى الفقرة السادسة كان على النساء اللائى يرفضن حلق شعر رأسهن أن يخضعن أنفسهن للبغاء كل هذا في هيرابوليس، أما فى طروادة فقد جرت العادة أن يقوم الشباب بتكريس شعرهم قبل الزواج، وفى الإسكندرية قدمت بيرنيفى خصلة شعرها تكريما لأفروديتى.

Cf. Strong and Gorstang, op. cit., p. 89, No. 72.

عن العادة الطروادية، انظر: Pausanias, 2, 32,1. وإن كان باوسانياس يتحدث عن الفتيات فقط؛ عن خصلة بيرنيفى، انظر: Catulus, Odes, LXVI; Cf. Callimachus, Aeteae IV, 110

11 - Pocock, Description of the East, Vol. II, London. (1945).

12 - Strong and Garstang, The Syrian Goddess, London. (1913).

13 - Tim Whitmarsh, Greek literature and the Roman Empire, Oxford. (2001).

14 - West M. L., The East Face of Helicon, Oxford. (1997).

٢ . المراجع العربية:

١ . أحمد عتمان، هيرقل فوق جبل أويتا، تأليف: سينيكا؛ ترجمة وتقديم: أحمد عتمان، مراجعة: عبداللطيف أحمد على، من المسرح العالمى (١٣٨)، الكويت (١٩٨١).

٢ . أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٩٧).

٣- برنال مارتن، أثينا السوداء، تحرير ومراجعة وتقديم: أحمد عثمان؛ ترجمة: لطفى عبد الوهاب يحيى وآخرين، المشروع القومى للترجمة (١٦)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (١٩٩٧).

٤ . تارن، الحضارة الهيلينستية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكى على، الألف كتاب، مكتبة الانجلو، القاهرة (١٩٦٦).

٥ . تشارلزورث م . ب، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزى عبده جرجس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٩٩).

٦ . جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: سيد توفيق، مكتبة الأسرة، القاهرة (٢٠٠١).

٧ . جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم (التوراة)، الجزء الثانى، ترجمة: نبيلة إبراهيم، دار المعارف، القاهرة (١.٩٨٢)

٨ . حسن صبحى بكرى: رسالة بلوتارخوس "عن إيزيس وأزيريس"؛ ترجمة: حسن صبحى بكرى، مراجعة: محمد صقر خفاجة، القاهرة (١٩٧٧).

٩ . سيد أحمد على الناصرى، الشرق الأدنى فى العصر الهيلينستى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٧-١٩٩٨

١٠ . عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء أوراق البردى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٨.

١١ . عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، أساطير البشر، الجزء الأول ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٧.

١٢ . .....، أساطير إغريقية (أساطير الآلهة الصغرى)، الجزء الثانى، طبعة أولى، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٩٥

١٣ . .....، أساطير إغريقية: الآلهة الكبرى، الجزء الثالث، الأنجلو (٢٠٠٥).

١٤ . فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، بغداد (١٩٧٣).

١٥ . فايز يوسف محمد، عبادة الربة كيبيلى في روما، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة عين شمس (١٩٩٠).

١٦ . .....، "دراسة وترجمة لقصيدة أتيس للشاعر الرومانى كاتوللوس"، أوزيريس: مجلة الدراسات الإيطالية – المصرية . ٢، القاهرة (١٩٩٢).

١٧ . كريمر س.ن، إنانا ودموزى: طقوس الجنس المقدس عند السوريين، ترجمة: نهاد خياطة، (ط ٢)، دمشق (١٩٩٣).

١٨- مجدى صبحى الهوارى، عبادة أتارجاتيس في روما، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة عين شمس (١٩٩٨).

١٩ـ .....، العناصر الشرقية في عبادة أفروديتى: دراسة من خلال المصادر اليونانية واللاتينية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، آداب عين شمس، (٢٠٠٥).

٢٠ . .....، "صورة الطوفان فى المصادر الكلاسيكية ومدى ارتباطها بمصادر الشرق الأدنى القديمة"، أوراق كلاسيكية العدد السادس، أعمال مؤتمر الدراسات اليونانية واللاتينية والدراسات البينية، كلية الآداب، جامعة القاهرة (٢٠٠٦).

٢١ . محمد حسن وهبة، الرواية اليونانية القديمة، القاهرة (١٩٨٦).

٢٢ . .....، نبوءات مركز عرافة دلفى وأسباب غموضها، القاهرة (٢٠٠٥).